طريق الشعب

من زمن التنوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2485) السنة التاسعة

الخميس (17) أيار 2012

6

السخرية والخطاب التهكمي في شعر علي الشرقي

علي الشرقي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

الشيخ علي الشرقي

شخصية فذة في تاريخنا المعاصر

عبد الاله الصائغ

الشرقي عام ١٩٢٠

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

علي الشرقي شاعر الطليعة المتحررة وتلك اتم تسمية وافية للشاعر تعبر عن الدور الذي قام به أتم تعبير واوفاه وتعرض علينا صفحة جهاده المتواصل ونحن نعني في تسميتنا اياه شاعر الطليعة المتحررة او الرعيل الاول وهي تعطي في النفس صورة واضحة للذين يدققون الوضع ! شاعر الطليعة هو رائد القوم الذي يرشدهم ويرصد لهم الطريق ويعين المواقع ويقول لهم القول الفصل الذي توحيه الطبيعة الشاعرة الواعية وينظر الى الدنيا في معنى شامل وبعد نظر !فما اوسع الآفاق التي يخطرها الشاعر الواعي ونحن نرى الخطوط والملامح واضحة في شعر الشرقي ولو انها مطموسة في التورية والرمز والكتابة ونحن نلمح في شعر شاعرنا اثر تلك الفترة بقوتها وضعفها بحسناتها وسيئاتها فقد رسم الملامح في تلك الفترة فهو الشاعر الصادق الصدوق الحساس.

اولاً: ترجمته

علي الشيخ جعفر بن محمد حسن بن احمد بن موسى بن راشد ولقبه الشروكَي (الشروقي) وقد غير لقبه بنفسه قبل ان يغير أدونيس لقبه من إسبر الى ادونيس ربما بأزيد من نصف قرن ! فهو ابن الجنوب الذي يفخر بنجفيته!

يقول الدكتور مصطفى جمال الدين وهو ابن قرية المؤمنين ص١٢ ديوانه (النجف منبتنا)! وهذا ضرب من الحب والوفاء جدير بأمثال هؤلاء الكبار ! اما والد الشيخ علي فهو الشيخ جعفر الذي يقول فيه شاعر ثورة العشرين ومؤرخها الدكتور محمد مهدي البصير (.. كان الشيخ جعفر ١٨٤٣- ١٨٩٢ واحدا من كبار فقهاء العراق وشعرائه في القرن التاسع عشر الميلادي) . والشيخ علي الشرقي من اسرة تنتمي الى قبيلة الخاقاني العربية وموطن هذه الاسرة قصبة على ضفاف نهر الغراف الوادع العذب تابعة الى قضاء الشطرة التابع الى محافظة الناصرية او ذي قار! يقول الدكتور الاديب صدام الأسدي في هذه المدينة وقد احسن القول : تلك المدينة التي أثرت العراق بالكثيرين من الأفذاذ والعلماء . هـ!

ولعل جده الشيخ موسى هو اول من ترك قصبة خيقان متوجها الى النجف لطلب العلم وهكذا يولد علي الشرقي في النجف ١٨٩٢ ! ولم تكن الشطرة مولده كما ذكر الدكتور صدام فهد الاسدي ! ثم ذاق علي الشرقي اليتم في سن مبكرة ! فتكبدت امه مشاق كثيرة فبددت عن صغيرها كأبة اليتم ! قال الشرقي في كتابه المطبوع الاحلام : حين مات والدي فترعرعت بحنان والدتي الذي انساني خسارة حدب الوالد ! وإذا كانت امه شقيقة الشيخ عبد الحسين الجواهري فقد انتقلت وطفلها الى بيت اخيها لتعيش فيه ! اي ان اليتيم علي الشرقي سيعيش في كنف خاله وخاله هو والد الشاعر محمد مهدي الجواهري ! وكان الجواهري اصغر سنا من الشرقي فالجواهري مولود عام ١٩٠٠ لكن الشيخ عبد العزيز الجواهري الشقيق الأكبر للشاعر محمد مهدي كان تربا للشرقي يقاربه في العمر !

وربما يكمن السبب في الحساسية بينهما الى تنافسهما بينا كان الجواهري اصغر من ان ينافس ابن عمته الشرقي ! واليتم والفاقة يكونان مصهرا للمعادن الأصيلة من الناس فتراهم مبكرين ومتفوقين وطموحين ! ولقد كان بيت الشيخ الجواهري مجلسا عامرا بالأدب وعلوم العربية والدين.

ثانيا: توريخه

ويتذكر صاحب الترجمة من اعلام الأدب والعلوم الدينية كوكبة من المشاهير امثال الشيخ جواد الشبيبي والسيد باقر الهندي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ هادي الشيخ عباس والسيد حمودي المرعبي وآخرين ! وشباب الشرقي مزيج من التمرد المشاب بالحكمة فقد شكل من اصدقائه الموافقين لمزاجه (شركة مقاومة الفقر) وربما يتقاطع محمول مقاومة الفقر مع دلالة مقاومة الجهل ولكن هذا هو تقرير الحال فحققوا نشاطا محمودا في طبع الدواوين الشعرية والقصص والمذكرات فجابوا العراق من اقصاه الى ادناه ومن بين جهودهم الشبابية الجبارة جمع شعر محمد سعيد الحبوبي ! كما جمعوا الكثير من مخطوطات بهيئة دواوين ولم يوفقوا الى طبعها ولا احد يدري اين ذهبت وكيف اختفت ! والغريب ان الشرقي وهو غزير العطاء لم يجد من يؤرخ له بشكل منصف او يجمع شعره او يعرضه للباحثين والنقاد وطلبة الدراسات العليا ! نعم طبعت دار الشؤون الثقافية في بغداد دراسة عنه مع مختارات من شعره وطبعت بعض كتبه في حياته وتنوسيت البقية ! وعتبى لابنته الأستاذة امل الشرقي وهي اديبة وصحفية وتسنمت اعلى المناصب الاعلامية والثقافية بيد انها على حد علمي لم تقدم لعلي الشرقي جهدا يوازي مكانته كزعيم وشاعر ورجل دين متحضر! والغريب ايضا ان ماكتبه صديقاه مير بصري وجعفر الخليلي لايسد رمقا ووجدت عند المؤرخ عبد الرزاق الحسني ما يشبه تجنب دوره الريادي في نهضة العراق! والأشد مرارة ان المؤرخ الكبير صاحب اعيان الشيعة السيد محسن الامين ودائرة المعارف الشيعية السيد حسن الامين تجنباه بالكامل مع انهما كتبا عن اسماء مجهرية ولعل طبيعة علي الشرقي الصريحة لم تترك له متعاطفا ! ولقد كتب روفائيل بطي عن علي الشرقي في كتاب الادب العصري الذي لم يطبع منه سوى جزئين اول وثان الخاصين بالمنظوم وكتب روفائيل بطي عن علي الشرقي

في القسم الخاص بالمنثور بيد ان ما كتبه لم ير النور مع الاسف ! اذن علي الشرقي عاش ملء السمع والبصر ولم يقدر عليه حساده وشانئوه فإذا مات صفوا حسابهم معه

ثالثا: شعره

كان الشرقي يجيد الفارسية قراءة وكتابة ويقرا للشعراء الفرس الكبار فبانت الرقة في قوله والنبرة في جمله والوصف الخلاب في صورة ! ولم يصدر بعد موته شيء يذكر سوى رسالة جامعية باشراف الدكتور ابراهيم حرج الوائلي واعداد السيد موسى الكرباسي طبعتها دار الشؤون الثقافية طبعة رديئة مليئة بالأغلاط الطباعية ! ولم تعد طباعتها ! والشرقي قاريء نهم كداب جيله من المفكرين والمبدعين فهو يقول في نفسه حين بلغ الخمسين:

لهفي لخمسين من سني قد اندرست
في الكتب بحثاً كأني دودة الكتب

يكتب الشعر الغزلي فضلا عن الشعر الوطني وهو في الحالين مرب وداعية جمال يصف الاستاذ مير بصري شعر علي الشرقي (سحر وعطر وهو شعر نابض بالحياة صادق اللهجة واضح السمات ينطق بلسان البلد والجيل ويحمل طابع العصر ورسالته لقد وفق الشرقي لترديد نواح البلبل السجين وصداح البلبل الطليق ولوعة الفلاح في كوخه وترجمته عن نزعات الشعب المتطلع الى الحياة والحرية ودعوة الى الألفة والإخاء) ويصف جعفر الخليلي شعر الشرقي فيقول

لعل جده الشيخ موسى هو اول من ترك قصبة خيقان متوجها الى النجف لطلب العلم وهكذا يولد علي الشرقي في النجف 1892 ! ولم تكن الشطرة مولده كما ذكر الدكتور صدام فهد الاسدي ! ثم ذاق علي الشرقي اليتم في سن مبكرة ! فتكبدت امه مشاق كثيرة فبددت عن صغيرها كأبة اليتم ! قال الشرقي في كتابه المطبوع الاحلام : حين مات والدي فترعرعت بحنان والدتي الذي انساني خسارة حدب الوالد ! وإذا كانت امه شقيقة الشيخ عبد الحسين الجواهري

(خطا الشرقي في الادب خطوات جريئة اذ احتوى شعره على جانب كبير من الوخز بالشعائر والتقاليد والنقد والاستهجان خصوصا بعد ان خرج من بيت خاله الى زاوية في احدى المدارس الدينية شعر فيها لاول مرة بنسيم الحرية والاستقلال وعرف الشرقي بطراز نظمه وصيده المعاني وطريقة النسج بكونه من اوائل المجددين في الشعر لا بل لم يكن قد سبقه شاعر في نسج الفكرة وفق النمط المحبب لدى المتذوقين) ويقول الاستاذ محمد سعيد الصكار (وكان علي الشرقي بارز الحضور في المجال الثقافي من خلال ما كان ينشره من قصائد في موضوعات مختلفة، عراقية وعربية وعالمية، كقصيدته عن غرق الباخرة تيتانيك وعن الاتحاد السوفييتي، وأوروبا والحرب الثانية وغيرها. وهو أكثر الشعراء العراقيين، وربما العرب، استخداماً لمنجزات الحضارة والتقدم، إذ يحفل ديوانه بذكر السيارة والطيارة والكهرباء والبطارية وماكنة التصوير

تولى الشرقي عدة مناصب قضائية ثم اصبح عضوا في مجلس الاعيان وتولى عدة وزارات في ما بعدمما مهد لصعود نجمه بحملة طويلة من المقالات والمساهمات الصحافية والادبية التي استثارت في الاخير استياء صديق الامس الشيخ اليعقوبي! .. رأى الشيخ اليعقوبي ان علي الشرقي نال مناصبه بالمداجاة والتزلف للسلطة ! وهذه التهمة مالبثت لصيقة بأي كاتب دؤوب ومنظِّر موهوب فهو على راي الغوغاء طالب جاه وطاوي طمع وباحث عن منصب فكان المناصب موقوفة منذ فجر التاريخ للجميع سوى المثقفين ! ولكن هل طأطأ الشرقي راساً للعاصفة كي تمر؟ شيء مثل هذا لم يحدث! فعلي الشرقي مثل مقاتل ياباني لايتراجع ابدا واذا هرب فهروبه سيكون تقدما نحو الامام!

والشاعر علي الشرقي يختار اصفياءه على مقاس طباعه ومبادئه ايضا! وكل اصدقائه اعلام كبار مثل الدكتور ضياء جعفر وصالح جبر وسعد صالح جريو وعبد المهدي المنتفجي والسيد سعيد كمال الدين والشيخ خيون آل عبيد وعبد الله القصاب وحميد خان وعبد الحسين الازري ورايح العطية وسلمان بيات وعبود الشالجي وجعفر الخليلي وعبد الرزاق الحسني وعبد المحسن السعدون ومحسن شلاش ورشدي الجلبي ومن هؤلاء الشاعر الكبير مثل الازري والكاتب الموسوعي الكبير عبود الشالجي والزعيم الوطني العظيم سعد صالح ورئيس الوزراء مثل صالح جبر ! ويروي صديقه الاستاذجعفر الخليلي ان السعدون هو الذي رشح الشرقي نائبا على لواء المنتفك بيد انه لم ينجح فغضب السعدون على فيصل الاول والسعدون حاد المزاج والملك هاديء الطبع فقرر الملك تعيين علي الشرقي قاضيا ممتازا وبراتب يعادل راتب وزير ! فطاش طيش حساده فخرجوا في مظاهرات صاخبة خشية على بيضة الدين من قضاء علي الشرقي وهم يعرفون نقاء الشرقي وتعففه وعمق تدينه ولكنه الحسد وكان الله في عونهم حين اصبح الشرقي وزيرا وزعيما وطنيا كبيرا ! وحين يحسبها الشرقي سيجدها مؤلمة فلقد زهدت به مدينته الأم النجف الشرف وجرحه اعلامها بل هيجوا الرأي العام ضده ! فلم نكد نعثر على صديق له من النجف سوى ثلة باقل من اصابع اليد الواحدة !حتى لقد تطاول عليه الخصوم والحساد واسبغوا عليه من الصفات والأفعال ما هو ابعد خلق الله عنه ! يقول احد اصدقاءه المقربين : كان الشيخ علي الشرقي متواضعا انيس المحضر لايانف وقد اصبح شاعرا عربيا ووزيرا عراقيا مرموقا ان يتحدث عما لقيه في صباه وصدر شبابه من ضيق وشظف عيش !.. كان عاطفيا سريع الانفعال في حياته الشخصية والادبية وقد اثر فيه يتمه ونشاته الصعبة في البيئة النجفية الجامدة تاثيرا عميقا ولذلك نرى شعره يختلف اختلافا بينا عن شعر معاصريه بكثرة مجازاته وايماءاته وصوره الغريبة وحدبه على الفقراء والفلاحين والكادحين فهو يصبو الى الحرية والأنطلاق ويرنو الى آفاق بعيدة خارج مجتمعه فيحمل على رجال الدين المتزمتين ويداعب الأفكار الحرة الجديدة التي انبعثت من النهضة الفكرية في مصر ولبنان

شمولية علي الشرقي

علي الشرقي انسان متفاعل مع الكون بكل اتساعه ! فهو يرى الدنيا قرية كبيرة فلم يترك شاردة ولا واردة الا وسجلها ! فحين غرقت باخرة تايتانك العملاقة منتصف نيسان ١٩١٢ حزن كثيرا ولم يكن قد وصل العشرين من العمر فإذا كان الشرقي يقظا حين يحدث طاريء ما في اقصى الارض فمن باب اولى ان يكون اشد يقظة لحال بلاده! ولكن سياسة البسطاء عسيرة وبخاصة اذا تمكنت منهم الدهماء! ولقد وقفت الغوغاء بين الشرقي وبين حلمه الوطني! ولقد وجد المحتل في الغوغاء ضالته فكان عملاؤه يحركونهم لتجريح علي الشرقي! وله قصيدة فيها شكوى ونجوى وتحذير فلا يدري الشرقي من يلوم اولا المحتل الذي بغى وعاث أم صنائعه الذين استاسدوا على ابناء جلدتهم ام عقلاء القوم وقد آثروا الوقوف على التل بانتظار المعجزة فخذلوا المناضل والمفكر والمبدع هل يلوم الحاكم الجائر ام المحكوم المستسلم؟

من حق القاريء العزيز ان يحاسبني على اختيار علي الشرقي أنموذجا لترجمتي! فثمة الكثير غيره معاصرين وغابرين! وانا انحني اجلالا لكل مبدع ومناضل متحضر! التحضر هو مسباري وعلي الشرقي تقطعت انفاسه وتلاشت سنيه وهو يدعو للمحبة بين العراقيين كافة فكان وهو رجل الدين صديقا حميما ونصيرا كريما للشيعة والسنة والمسلمين والمسيحيين واليهود والمندائيين! كان امينا على الشعب العراقي ميزانه المواطنة والولاء للعراق قبل كل شيء وبعد كل شيء ومن هنا جاء اختياري لهذا المثال المشرق فحياته درس تربوي في عشق المواطنة واحترام العقائد والانفتاح على العالم! درس تربوي لنا نحن المثقفين العراقيين

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

من رسـائل الشـيخ الشـرقي الشـخصية

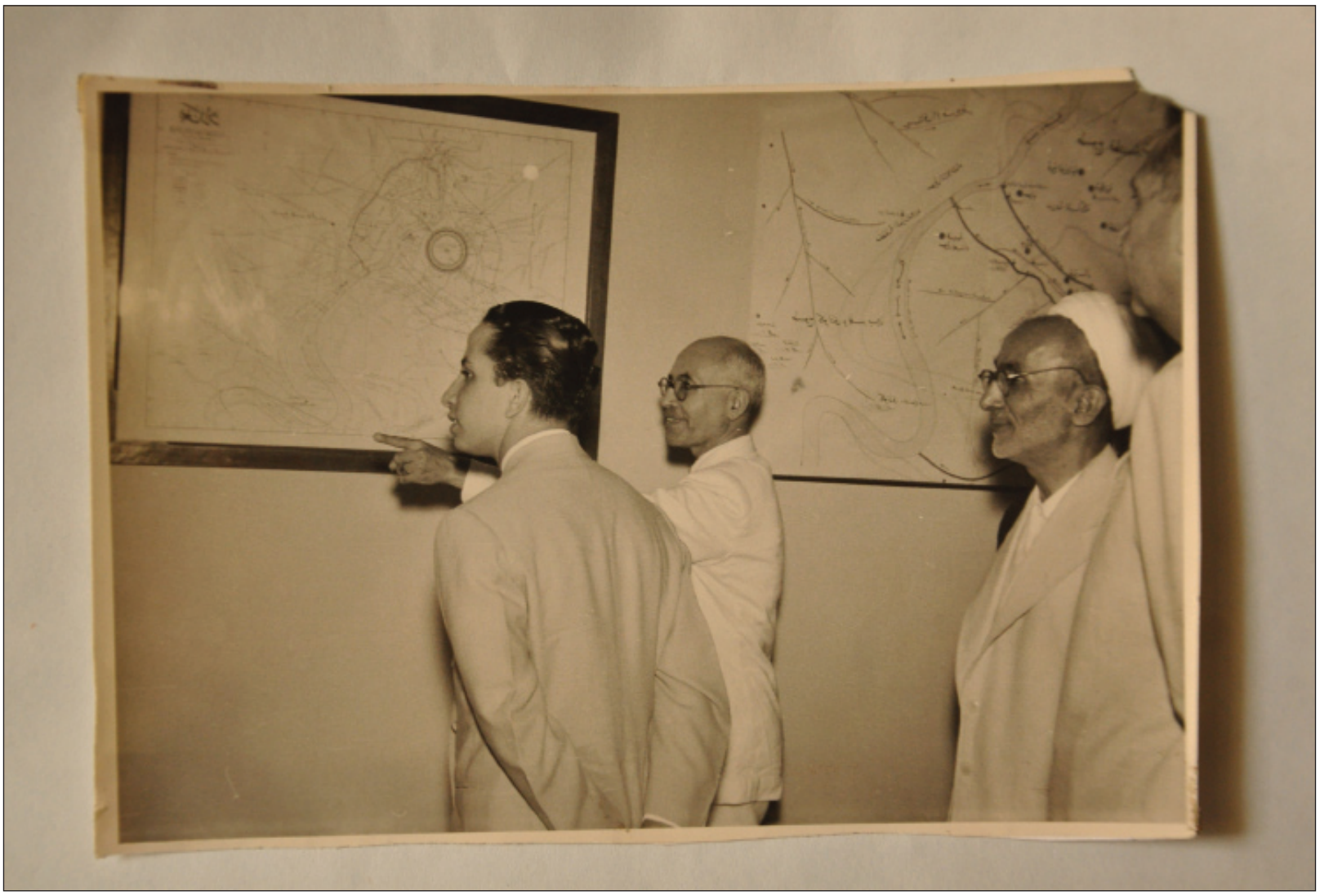

مع الملك فيصل الثاني والدكتور احمد سوسة

موسى الكرباسي

من خلال وقوفي على الرسائل المتبادلة بين الشيخ علي الشرقي، وبين الوجيه حسين الشعرباف في الشطرة، ومن خلال تصفحي لهذه الرسائل التي يقع حصرها (١٢٥) رسالة خطية بعث بها الشيخ الشرقي الكبير الى صاحبه الشعرباف يشير في بعض منها اشارات شخصية ويكشف في البعض الآخر دور النجف الريادي في مختلف النشاطات الثقافية ويستعرض الاحداث التي عاشها العراق في ابان الحكم الوطني، وكان تحديد تاريخ هذه الرسالة ينحصر بين اعوام ١٣٣٧ – ١٣٥٠ هجرية وان قسما من الرسائل مذيل بالميلادي ابتداء من ١٩٢٨ وانتهاء بـ ١٩٤٨.

اما الرسائل المهمة التي تتناول ابعاد المعالجات السياسية وتدور مضامينها حول احداث الساعة اليومية وتتضمن فقراتها انماط السلوك الاجتماعي والتي يكشف بعضها عن اهمية الدور التاريخي في بنية المجتمع وثبات اركانه.. هذه المضامين وجدتها مطروحة ضمن الرسائل الشخصية مدرجة الى جوانبها وفصولها فعكفت على هذا القسم ووقفت عنده مليا لاخراج نتيجة مثمرة تكون خير زاد للباحث وافضل غذاء للمتتبع.. على ان الملاحظ في هذا القسم ان الاسلوب الذي انتهجه الشرقي سلس وسهل وواضح ليقرب الفكرة التي يعرضها الى صاحبه الشعرباف ليتعرف عليها ويطلع على مضمونها.. وقد احتفظ بهذه المجموعة الاديب علي صائب بن حسين الشعرباف.

اولا: مشاعر الكاتب ابان تشكيل الحكم الوطني ومواقفه المشهورة:

عبر الكاتب الشيخ علي الشرقي بهذه الرسائل عن جملة احاسيس ومشاعر ذاتية اعتملت في نفسه ليعرض الصورة التي هو عليها قبيل وخلال وبعد تشكيل الحكم الوطني انطلاقا من ثقافته المتبلورة بالعصر الحديث، وما يظهر من هذه الثقافة الا الاسهامات الفعلية تحديدا لموقف وتثبيتا لرأي..

أ- اليك هذه الرسالة المؤرخة في ٢١ شعبان سنة ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠م معنونة كبقية رسائله في ابي صائب حسين الشعرباف بهذا العنوان: (مولاي الحسين).. اليك نص الرسالة:

(ان بيوت الشرق بضايع نفيسة وقد اصبح الشرق ابا العجائب وابتدأت الاعمال المباركة تتمشى في بلادنا وهي معتدلة القامة وولى ذلك الالتواء والانحناء، ولابد ان تكون بلادكم حلقة من هذه السلسلة ولايمكن ان اشرح لكم مع هذا الرسول شيئا فانه ربما كان ذلك محظورا.. واما الغرب بدأ يتدهور متنازلا من اوج الغطرسة الجبروتية ومازال عنوان (خرابات) مرافقا لهم في كل ما يثورون وان دولاب الانقلاب سريع الحركة وكان نوبة جديدة تريد ان تنتشر في العالم وهي شكل غريب من اشكال الحرب العامة وان حديث مجالسنا اليوم منصب معظمه على الوصاية المزعومة في مؤتمر (سان ريمو) الخيالي ولايبعد ان يسمع العراق قريبا صوت احتجاج شديد.

اما حديث الشوارع فهو النبأ الاخير الذي وصل بلدية النجف من لندن وهو برقية من مندوب الحكومات العربية والحجازية والسورية والعراقية.

اليكم نصه:

من لندن الى بلدية النجف:

لما كنت في هذه الايام موجودا في لندن اقتنعت بان الحكومة البريطانية التي خلصت البلاد العربية هي باقية على المودة والصحبة للعراق، وامل قريبا الى بضعة اسابيع ستحسم المسألة في مؤتمر الصلح ملفقة لرغبة الاهالي في تأسيس الحكومة الاهلية فيلزم عليكم ابلاغ ذلك للعموم حتى يبين شكرهم للدولة الانكليزية.

والامضاء رئيس اركان حرب الامير فيصل، نوري السعيد.. وصل هذا قبل اربعة ايام ونشر للعموم ولم يتشكر احد لان الناس لم يعد لها وثوق بالاقوال وتريد الاعمال..)

(ب) واليك رسالة اخرى بتاريخ ٤ جمادي الاولى سنة ١٣٤٦ هـ والموافق ١٩٢٧م:

يكشف عن الحالة الاجتماعية التي عليها الشعب وما تنتاب الحكومة انذاك من مواقف تثير اكثر من تساؤل عن طبيعة الحكم ومن يسيره، والنتائج المترتبة عن بدايات تشكيل الحكم الاهلي.

نصت هذه الرسالة على ما يأتي:

(نحن في هذه الايام في حركة عنيفة، المجلس على الابواب والمفاوضة جارية في لندن، ولاجل هذا وذلك تظاهرت الحكومة باعمال فيها سد لجريدة وقد قابلنا تلك الاعمال باشد منها، ومظاهرتنا في النجف وبغداد كبيرة، اجتماعات واحتكاكات، والحكومة اليوم اصلب من امس، ونحن لم تظهر علينا مرونة ولكن الموقف غامض لانهم اصبحوا ينصحون ويقولون لا تتكلموا وانتظروا مجيء المعتمد، وهي نغمة جديدة نسمعها اليوم..).

(ج) وتتحدث الرسالة التالية وبكل صراحة امة عن بنية وطبيعة حالة المجتمع انذاك والمواجهة المكشوفة بين الاطراف وما تسفر هذه المواجهة عن نتائج ترسم وتحدد ابعاد المتحرك السياسي:

تذكر هذه الرسالة والمؤرخة في التاسع من صفر سنة ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ ميلادية تذكر ما يلي:

(يوجد هنا حزبان: حزب حكومي، وحزب طائفي وفي كلا الحزبين خلل وشلل ولكن حزب الحكومة هو الفاشل والساقط، والرأي العام يساند الحزب الطائفي والرأي العام هنا قوي ويتهيج اشد التهيج حتى ان حزب الحكومة لا يستطيع ان يجاهر بخططه، ونحن نعمل لامرين:

اولا: تعديل الصفوف وتنظيم المسعى.

ثانيا: الوقوف في وجه الرأي من اجل ان لايقع في مشاغبة فان ذلك مما يضر ولاينفع.

وقد نجحت قضيتنا في لندن والمفاوضة على اساس يوافق رغبتنا ولم يبق الا شكل القضية في العراق وذلك يعرف بعد العودة من الاجازات والمفاوضات والسياحات فهل يكون انقلابا ثوريا او انقلابا تدريجيا، ذلك مالا نعلمه الان او من المحتمل ان يحل..).

(د) وتبرز دواخل النفس الملتهبة في هذه الرسالة المؤرخة في السادس

نموذج من الرسائل بخط علي الشرقي

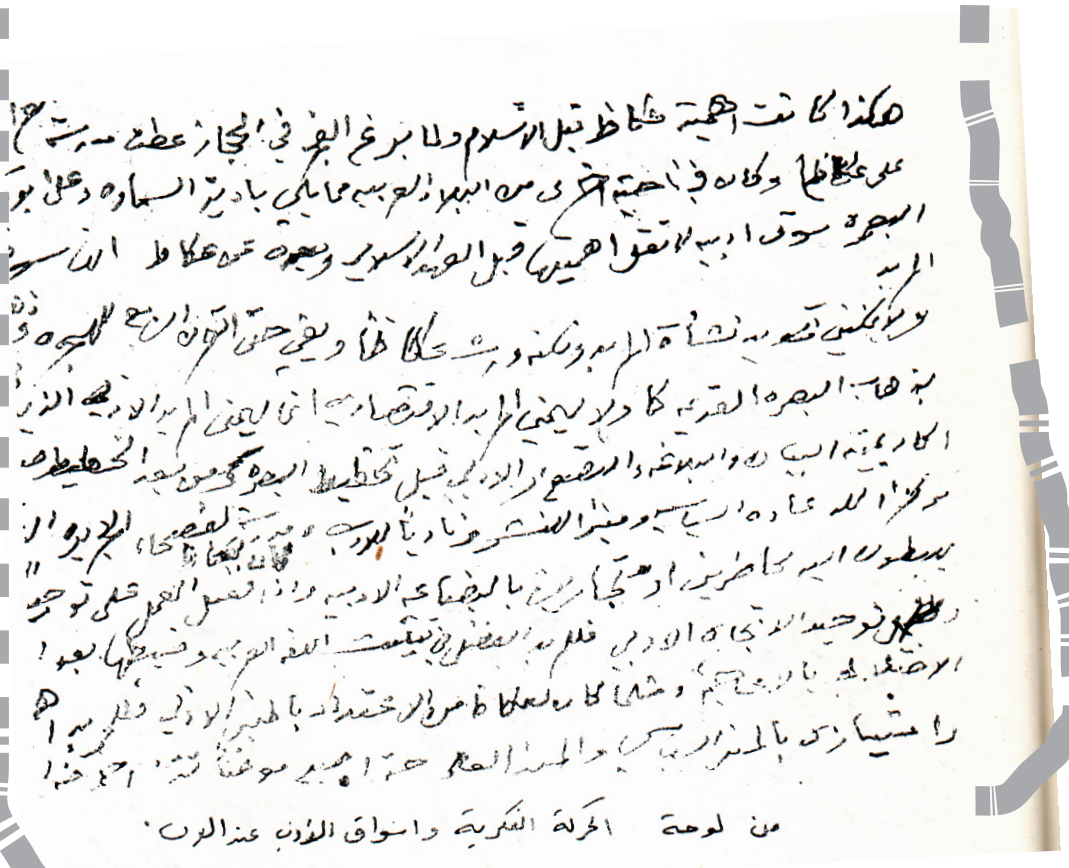

عشر من شعبان سنة ١٣٤٣ هـ المصادف ١٩٢٥م، تبرز بشكل يلفت النظر بتعامل ذاتي وبتفاعل مع الاحداث لتمنح الصورة التي تعرضها عدسة احداث الواقع السياسي وضوحا اكثر وصفاء ملموسا.. اليك جانبا من هذه الرسالة:

(عدت من العاصمة والتي هي اغرب سينما سياسي، وسخرية ادارية ما فوقها سخرية، يفضل ذو النفس الحية ان يعيش في كهف من كهوف البادية او كوخ من اكواخ سويج خفاجة خير من ان يعيش في تلك المدينة العظيمة الحقيرة ويطلع على اربعة او خمسة من جبابرة العالم يتلاعبون بالمجموع العراقي او العربي او الشرقي تلاعب مدية القصاب في اعضاء الدبيحة.

جرت معاملة الزيت وانا في بغداد ولا يسعني التفصيل حيث الوقت ضيق، والقرطاس ضيق فاليك وصف الحالة اجمالا:

اولا: اللجنة الامية في الموصل ليست لجنة تحديد وانما اصحاب سهام في الزيت، زيت العراق ولاجله جاءوا فهم لايغادرون العراق حتى يعرفوا نصيبهم.

ثانيا: يجب البت في مسألة الزيت حالا قبل نشر القانون الاساسي لان الامور التي تتم قبل النشر تعتبر نافذة بعد نشره ولايستطيع حتى المجلس على حلها وقد تم الامتياز ليلا كما تم امر المعاهدة حذو الفعل بالفعل، وقد اعطي الى الشركة التركية وهي بريطانية، نرنسوية، امريكية، بلجيكية.. واساس الامتياز ان يكون للعراق اربع شلنات ذهب على كل طن وليس العراق في الحصص والسهام نصيب وهذا الاساس: اولا انه غير شريف اقتصاديا، ثانيا انه ابخس نصيب وقد ضعضعت هذه المسألة كراسي الوزارة عامة وهزتها هزة عنيفه فثبت خمسة وسقط اثنان..).

(هـ) اما رسالته المؤرخة في الثاني والعشرين من صفر سنة ١٣٣٨ هـ المصادف ١٩٢٠م فهي غنية بما تحفل الفاظها من دلالات وطنية ومواقف طيبة تجسد شخصيته في الوسط العراقي من خلال مواقف معززة بالبرهان والدليل من خلال تجربة العمل السياسي.

اليك ماورد في الرسالة:

(اصبح من الحقائق الراهنة ان الاتي القريب لابد وان يقرأ على اسماع البشر تقريرا سياسيا جديدا غير السجل الذي حبره مجلس الاربعة او الخمسة او العشر قوان روح التحرير اقوى من روح الاستعانة او الوصاية بمعنى الاستعمار وان فضاء بلادنا مملوء باشاعات وروايات لايمكن حملها اليكم لان اصواتها اشبه شيء بصدى تايه في الفضاء، لم نعرف جهته من أين..؟).

ثانيا: مسرح الانتخابات:

تناول الشيخ علي الشرقي من رسائله ما كان من اعمال قبل وبعد عمليات الانتخابات بالتحليل والنقد وما ترافق هذه العمليات من عوائق تحول دون تحقيق ما يطمح اليه المتنافسون كما تكشف بواطن التدخل السافر من قبل السلطة في اختيار من تريده نائبا في المجلس.

تشرح رسالته المؤرخة في الثالث من شعبان سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ١٩٢٥م تشرح جوانب من معركة انتخابية بينه وبين الشبيبي ومن يدري فلعل هذه الجوانب تركت خلفيات لبعض من الخلاف البسيط بين الرجلين الكبيرين.

اليك مقصه في هذه الرسالة:

(عاد الانتخاب، وسراً اكتب لحضرتكم توجد معركة انتخابية عنيفة بين الشرقي الشبيبي وحزب الشرقي تجفي وكربلائي وحزب الشرقي نجفي وكربلائي وحزب الشبيبي بغدادي ورسمي.. وقبل اربعة ايام كتب بعض الزعماء خفيا الى صحاب الجلالة يطلبون ترشيحي ويطلبون اشارة مستورة بذلك، والليلة حبلى لايعلم ماذا تلد ولابد تبليغكم بالنتيجة..).

ثالثا: الكشف عن الواقع المؤلم لخلفيات الاحداث:

عبر الكاتب برسالته المؤرخة في الحادي عشر من ربيع الاول سنة ١٣٢٩ هـ الموافق ١٩٢٠م عبر عن الحال التي تركتها احداث العراق في كل من النجف وكربلاء وجنوب العراق، بعد ان اعتملت الاحداث بنفوس ابنائها وبعد الدور المشرف الذي لعبته في بلوغ العراق مرحلة الاستقلال بتضحيات جسام وبقدرات عالية في تحديد المواقف في الرسوخ والثبات في الفكر والعقيدة على الرغم من توالي النكسات في صفوف المجاهدين والزامهم بنزع فتيل السلاح وعلى الرغم من تجاوب الكل لنداءات العلماء الا ان الحماسة وشعلة المطالبة بالاستقلال والدعوة الى التحرر لم تفتر فقد زادت وتعاظمت.

واليك سطورا من هذه الرسالة:

(اما كتب النجف فهي نعي وبكاء على سوء المنقلب ونكد الاحوال وقد قضت كربلاء نحبها من العقاب والغرامة وتحول الجيش فطوق النجف وهي في بحر من الويلات. القبائل مشغولة بنزع السلاح وتسليمه من الغرامة والشروط هي عين الشروط التي تعرفها في دلتاوه.

وردلنا تحرير من شيخ الشريعة يأمر فيه ان بلغ الغرافيين بلزوم السكون وقد بلغنا من يلزم تبليغهم).

رابعا: تطورات في منعطف الطريق:

أ- فتوى العلماء بحرمة الانتخابات:

تطرق الشيخ الشرقي في رسالته المؤرخة في عزة صفر سنة ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٢م الى موضوع الفتوى التي صدرت عن علماء النجف بتحريم المشاركة في ادلاء الاصوات في عملية الانتخابات وماتركتها هذه الفتوى من ردود عملت على صلابة الموقف وتبديد كافة امال البريطانيين الذين ارادوا ان يأتمر العلماء بأمرهم.

هذه الرسالة تتحدث وتقول:

(لايوجد في بلادنا غير مسألة الانتخابات التي افتى العلماء بحرية المداخلة فيها وبواسطة الانتعاش المنعكس في حركات الاتراك الاخيرة صادفت الفتوى قبولا وانتشارا، وحيث ان الوقت لايناسب الضغط السياسي اخذت السياسة تلين وجعلت تتظاهر بامور تجذب الرأي العام مثل: تبديل حكومة النقيب بحكومة عبد المحسن السعدون وبعض تغييرات اخرى..).

ب- ما آل اليه واقع الانكليز من امر: يتضح من نفس هذه الرسالة في جانب منها الموقف المعبر عن تدهور امر الانكليز ومدى تخبطهم بعالم السياسة في العراق بعد نكوصهم بكل الوعود التي قطعوها من اجل نيل ابناء الوطن العربي حريته واستقلاله.

اليك ما تنطق به هذه السطور من الرسالة من قول:

(ان الايام الاخيرة ايام سود على الانكليز لان اوربا كافة وقفت في اسقاط سياسة الانكليز في الشرق ومعنى ذلك ان الانكليز في الشرق ومعنى ذلك ان الانكليز يخرجون بحكم المغلوبين من نتيجة الحرب العامة وينكفيء كأسهم والانكليز الان يعالجون سياسة منفردة تضادها كل اوروبا..).

خامسا: الزعيم جواد الجواهري ودوره الريادي في حسم المنازعات السياسية:

تتحدث الرسالة المؤرخة باليوم الرابع من رجب سنة ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٣ م عن الدور الريادي للزعيم الشيخ جواد الجواهري في حسم قضايا ملحة ظللت تشغل الرأي العام العراقي.. تناولت تدخل الزعيم في مسالة اعادة المنفيين من العلماء الاعلام وقادة الفكر الى الوطن بعد ان تم ابعادهم خارج الحدود بأمر من السفارة البريطانية في بغداد..

اليك ما تورده هذه الرسالة من تفاصيل..

(لايوجد في بلادنا ليوم غير حديث رجوع الاعلام، والراغبين عنهم اكثر من الراغبين فيهم والرأي العام العراقي مصاب بالسوداء فليس له عقلية راسخة .. طلبت الحكومة الزعيم الجواهري الى العاصمة وكلفته في امرين: ارجاع الاعلام الى العراق من دون الخالصي واحكام العلاقات بين حكومة العراق وحكومة ايران. والزعيم الجواهري اليوم في العاصمة ومشغول بالمراجعات والمذاكرات الشفهية فاذا تقاربت الامور شخص بنفسه الى فم لاعادة اصحابه..).

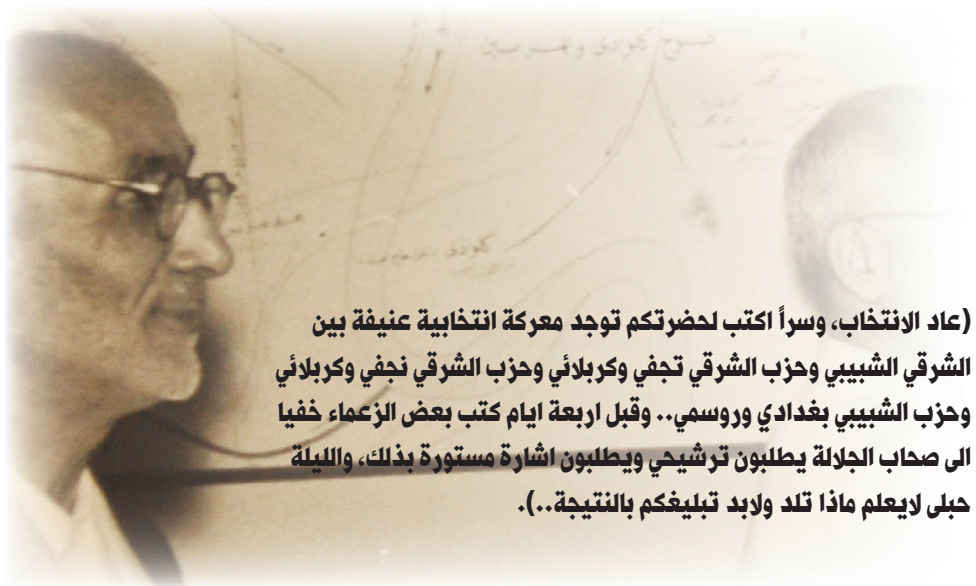

(عاد الانتخاب، وسراً اكتب لحضرتكم توجد معركة انتخابية عنيفة بين الشرقي الشبيبي وحزب الشرقي تجفي وكربلائي وحزب الشرقي نجفي وكربلائي وحزب الشبيبي بغدادي وروسمي.. وقبل اربعة ايام كتب بعض الزعماء خفيا الى صحاب الجلالة يطلبون ترشيحي ويطلبون اشارة مستورة بذلك، والليلة حبلى لايعلم ماذا تلد ولابد تبليغكم بالنتيجة..).

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

السخرية والخطاب التهكمي في شعر علي الشرقي

عواطف البوغبيش

تحاول هذه المقالة دراسة السّخريّة والخطاب التهكمي عند شاعر كبير من شعراء العراق عامّةً والنجف خاصّة ألا وهو الشّاعرالفذّ على الشّرقي،و قد درسنا فنون السّخرية في شعر الشّاعربصورة عامة ،و خصصنا الجلّ الأكبر من هذه المقالة لدراسة ديوانه المعنون بديوان« عواطف وعواصف»،ويعدّ هذا الديوان جديربالذكر لإحتوائه الكثيرمن الأبيات السّاخرة الهادفة ، وقبل الدخول في صلب الموضوع يلزم علينا أن نعرّ ف بهذه الشّخصيّة الفذّة و من ثمّ التطرق إلى ما وجدنا من سخريّة وخطاب تهكمّي في شعر الشاعر .

نبذة عن حياة الشّاعر:

علي الشّيخ جعفر بن محمد حسن بن أحمد بن موسى بن راشد ولقبه الشّروكي (الشّروقي) وقد غيّر لقبه بنفسه قبل أن يغير أدونيس لقبه من إسبر إلى أدونيس ربما بأزيد من نصف قرن ! فهو إبن الجنوب الذي يفخر بنجفيته ! يقول الدكتور مصطفى جمال الدين وهو إبن قرية المؤمنين (النجف منبتنا) ! [١] وهذا ضرب من الحب والوفاء جدير بأمثال هؤلاء الكبار ! أمّا والد الشّيخ علي فهو الشّيخ جعفر الذي يقول فيه شاعر ثورة العشرين ومؤرخها الدكتور محمد مهدي البصير (.. كان الشّيخ جعفر ١٨٤٣-١٨٩٢ واحدا من كبار فقهاء العراق وشعرائه في القرن التاسع عشر الميلادي). والشّيخ علي الشّرقي من أسرة تنتمي إلى قبيلة الخاقاني العربية وموطن هذه الاسرة قصبة على ضفاف نهر الغرّاف الوادع العذب تابعة إلى قضاء الشّطرة التابع إلى محافظة الناصرية أو ذي قار ! الناصرية يقول الدكتور الأديب صدام الأسدي في هذه المدينة وقد أحسن القول : تلك المدينة التي أثرت العراق بالكثيرين من الأفذاذ والعلماء! ولعلّ جدّه الشّيخ موسى هو أول من ترك قصبة خيقان متوجها إلى النجف لطلب العلم وهكذا يولد علي الشّرقي في النجف ١٨٩٢ م. ولم تكن الشّطرة مولده كما ذكر الدكتور صدام فهد الاسدي ! ثم ذاق علي الشّرقي اليتم في سن مبكرة ! فتكبدت أمّه مشاق كثيرة فبددت عن صغيرها كآبة اليتم ! قال الشّرقي في كتابه المطبوع الأحلام : حين مات والدي فترعرعت بحنان والدتي الذي أنساني خسارة حدب الوالد ! وإذا كانت امه شقيقة الشّيخ عبد الحسين الجواهري فقد انتقلت وطفلها إلى بيت اخيها لتعيش فيه ! اي ان اليتيم علي الشّرقي سيعيش في كنف خاله وخاله هو والد الشاعر محمد مهدي الجواهري ! وكان الجواهري اصغر سنا من الشّرقي فالجواهري مولود عام ١٩٠٠ لكن الشّيخ عبد العزيز الجواهري الشّقيق الأكبر للشاعر محمدمهدي كان تربا للشرقي يكابره في العمر!وربما يكمن السّبب في الحساسية بينهما إلى تنافسهما ،بينما كان الجواهري أصغر من أن ينافس إبن عمته الشّرقي !واليتم والفاقة يكونان مصهراً للمعادن الأصيلة من الناس فتراهم مبكرين ومتفوقين وطموحين ! ولقد كان بيت الشّيخ الجواهري مجلساً عامراً بالأدب وعلوم العربية والدين!

ويذكر صاحب الترجمة من اعلام الأدب والعلوم الدينية كوكبة من المشاهير أمثال الشّيخ جواد الشّبيبي والسّيد باقر الهندي والسّيد جعفر الحلي والشّيخ عبد الكريم الجزائري والشّيخ هادي الشّيخ عباس والسّيد حمودي المرعبي وآخرين ! وشباب الشّرقي مزيج من التمرد المشاب بالحكمة فقد شكل من اصدقائه الموافقين لمزاجه (شركة مقاومة الفقر) وربما يتقاطع محمول مقاومة الفقر مع دلالة مقاومة الجهل ولكن هذا هو تقرير الحال فحقّقوا نشاطاً محموداً في طبع الدّواوين الشّعرية والقصص والمذكرات فجابوا العراق من أقصاه إلى أدناه ومن بين جهودهم الشّبابية الجبّارة جمع شعر محمد سعيد الحبوبي ! كما جمعوا الكثير من مخطوطات بهيئة دواووين ولم يُوفقوا إلى طبعها ولا أحد يدري أين ذهبت وكيف اختفت ! .

شعره:

كان الشّرقي يجيد الفارسية قراءة وكتابة ويقرأ للشعراء الفرس الكبار فبانت الرّقة في قوله والنبرة في جمله والوصف الخلّاب في صورة ! ولم يصدر بعد موته شيء يذكر سوى رسالة جامعية باشراف الدكتور إبراهيم الوائلي و اعداد السّيد موسى الكرباسي طبعتها دار الشؤون الثقافية طبعة رديئة مليئة بالأغلاط الطباعية ! ولم تعد طباعتها ! والشّرقي قارىء نهم كدأب جيله من المفكرين والمبدعين فهو يقول في نفسه حين بلغ الخمسين:

لَهفي لِخَمسَينَ مِن سِنّي قَد اندَرَسَت
في الكُتبِ بَحثاً كَأَنّي دُودَةُ الكُتُب

يَكتب الشّعر الغزلي فضلاً عن الشّعر الوطني وهو في الحالين مربّ وداعية جمال يصف الأستاذ مير بصري شعر علي الشّرقي (سحر وعطر وهو شعر نابض بالحياة صادق اللّهجة واضح السّمات ينطق بلسان البلد والجيل ويحمل طابع العصر ورسالته لقد وفق الشّرقي لترديد نواح البلبل السّجين وصداح البلبل الطليق ولوعة الفلاح في كوخه وترجمته عن نزعات الشّعب المتطلع إلى الحياة والحرية ودعوة إلى الألفة والإخاء) ويصف جعفر الخليلي شعر الشّرقي فيقول: (خطى الشّرقي في الادب خطوات جريئة إذ احتوى شعره على جانب كبير من الوخز بالشّعائر والتقاليد والنقد والاستهجان خصوصا بعد أن خرج من بيت خاله إلى زاوية في إحدى المدارس الدينية شعر فيها لاول مرة بنسيم الحرية والاستقلال وعرف الشّرقي بطراز نظمه وصيده المعاني وطريقة النسج بكونه من أوائل المجددين في الشّعر لا بل لم يكن قد سبقه شاعر في نسج الفكرة وفق النمط المحبب لدى المتذوقين) ويقول الاستاذ محمد سعيد الصكار (وكان علي الشّرقي بارز الحضور في المجال الثقافي من خلال ما كان ينشره من قصائد في موضوعات مختلفة، عراقية وعربية وعالمية، كقصيدته عن غرق الباخرة تيتانيك وعن الاتحاد السّوفييتي، وأوروبا والحرب الثانية وغيرها. وهو أكثر الشّعراء العراقيين، وربما العرب، استخداماً لمنجزات الحضارة والتقدم، إذ يحفل ديوانه بذكر السّيارة والطيارة والكهرباء والبطارية وماكنة التصوير وغير ذلك.

كان علي الشّرقي عراقياً أصيلاً، وعربياً متحمساً، وداعية جريئاً للتقدم الاجتماعي والسّياسي والإقتصادي والدّيني، لاذع النقد لمظاهر التخلف والوصولية والنفاق؛ كل ذلك بحس دقيق ولغة سهلة وعبارة بليغة، والتقاط حاذق للأمثال الشّعبية،حتى أنّ كثيراً من أشعاره ذهب مثلاً.

السّخريّة والخطاب التهكمي في شعر علي الشّرقي: يعد علي الشّرقي من كبار الشّعراء الوطنيين العراقيين النجفيين والشّاعر الكبير الشّيخ علي الشّرقي يتصدى للفرات الطاغي بعتاب مر مرارة الألم والمعاناة التي عصفت بأكواخ الفقراء أثناء حدوث ذلك الفيضان الرهيب الذي أحدثه نهر الفرات عام ١٩٢٩م حيث نراه يسكب قطرات دمه مرة أخرى على الورق ليعبر عما تعانيه روحه من حزن وتمزق جراء ماحل بتلك الطبقات الكادحة المسحوقة من كوارث رهيبه حيث الأمواج العاتيه التي اكتسحت كل شيئ دون رحمة ومن خلال القصيده يوجه نقده اللاذع أيضا للسلطات الحاكمة آنذاك التي لم تتحسس هول الكارثة والمعاناة الكبرى والرزايا التي عصفت بالفقراء المنكوبين وبأكواخهم الطينية التي لايملكون غيرها ملجأ يأوون إليها فباتوا حيارى في العراء يلتحفون الأرض والسّماء تحت بصر وسمع الحكام القابعين في قصورهم الفارهه ولم يقوموا بأدنى فعل لدرء الخطر عنهم حيث يقول:

ثابَـرتُ مُحتَـجّاً عَلى الآدابِ
بتَجَنُّبي لِـيَراعَتي وَكتَابي
وَأظُنُّ أفيدَ مِن يَراعَةِ كَـاتِبٍ
في هَـذه الأرجَـاءِ عُودُ ثَقَابِ
في ذِمّـةِ التاريخِ يَا أقلامَـنَا
شَعبٌ هُوَ الوَاعِي هُوَ المُتَغابي
إنّي عَتَبتُ عَلَى الفُرَاتِ وَهَل تَرَى
يَتَنَازَلُ الطّاغي لِسَمعِ عِتابِ !
يَا ربَّ أيّاً نَرتَجِي لِعِمَارَةِ الأوطَانِ
يُصبِحُ مَـنشَـأَ الـخَـرَابِ
مَا للفُرَاتِ المُستَشِيطِ بِغَيظِه
يَسطُو وَسَطوَتُهُ عَلَى الأَصحَابِ!
المَوجُ في تلكَ السّهولِ كَأنمَا
زَحَفَت عَلَى تلكَ السّهولِ رَوَابِي
فَبَلاغَةُ الأعيَانِ مَا أجـدَت وَلَا
صَدَّ الفُرات فَـصَاحَةُ النُّوابِ !
إنّـه تهكّم ممزوج بالمرارة على مجلسي النواب والأعيان آنذاك الذين لاهمّ لهم سوى إظهار براعتهم في خطبهم الرنّانة والطّنانة الّتي لاتغني ولا تسمن من جوع و لا غرو في ذلك مادامو ا ينتمون الى دولة الأقطاب التي تحكمهم .ونكمن سخرية الشّاعر في الأبيات التالية:البيت الثاني والثالث والخامس ،حيث نرى فيها مدى إستيائه من الحكام وما حلّ بوطنه فيأتي وينتقد ذلك الوضع المزري بلهجة ناقدة ساخرة،ويستمرّ الشّاعر في قصيدته (الفرات الطاغي) فيقول:

سَل دَولَةَ الأقطَابِ هَل مِن مُنقِذٍ
لِبُيُوتِه في دَولَةِ الأقـطَابِ
وَجَرائِدُ الكتّابِ هَل مِن مَنعةٍ
لِـزَرُوعِه بِجَرَائِـدِ الكُـتّـابِ
مَنَاهِجُ الأحـزَابِ مِن سَدَدٍ
مَردُومَةٍ بِمَنَاهِجِ الأحـزَابِ
طَافَت حَنَايَا الكُوخِ فَوقَ خَصَاصَةِ الغَرقَى
وَعَـامَ البَيتُ بِالأخشَـابِ
وَلَقَد نَظَرتُ أثَاثَهُ الطّافي فَلَم
أبصِر سِوى حَصرٍ وَجُردِ ثِيابِ
بَقَراتُهُ ارتَمَسَت بِلُجّ لا تَرَى
إلّا الرُّؤُوسَ وَلَمعَةً لِـرِقَـابِ
لَا نَجوَةَ يَأوِي لَهَا الرّاعِي وَ لَا
لِقَطِيعِهِ المَذعُورِ نَشزُ هِضَابِ

إلى أن يصل في قصيدته إلى ذروة المأساة حيث يصور كيف غدت الكلاب وأسراب الأطفال في آنٍ واحد تصارع الأمواج وتفعل المستحيل من أجل البقاء وتنقذ حياتها من الخطر الذي داهمها على حين غرة فشبّه الأطفال بالطيور المفرفرة بين الأمواج التي أخذت تلطمها لتقضي عليها ،وهذه من اشدّ اوجه النقد اللاذع حيث يقول: [٨]

حَتّى الكِلابُ بِذِلّةٍ وَمَهَانَةٍ
دَلهَى قَد إمتَحَنَت بِخَوضِ عُبَابِ
تَـرنُـو إلـى الأطفَالِ كالأَسرَابِ
تَـرنُـو إلـى الأطفَالِ كالأسرَابِ
تَعدُو مُفرفِرةً أمامَ المَاءِ كَي
تَنجُو فَيَنكُصُهَا عَلى الأعقَابِ
أنَوَادِيَ الأحبَابِ مَا لي لَا أرَى
في الشّاطِئَينِ نَوادِيَ الأحبَابِ
هَوَتِ الرِّبَاعُ القَارِهَاتُ وَأصبَحَت
تلك الرِّحَابُ الفُسَّحُ غَيرَ رِحَابِ!

إنّ العديد من رباعيات الشّاعر علي الشّرقي لاتخلو من روح التهكّم والسّخريه التي غالباً ما كان يوجهها للحكام الذين لاهمّ لهم سوى سرقة قوت الشّعب والعيش على جماجم أصحاب الأرض الحقيقيين وجمع الضرائب من كدّهم وعرقهم لبناء القصور لهم ولابد أن يأتي اليوم الذي يثور فيه هؤلاء المسحوقين ليزيلوا عروش الظلم والفساد حيث يقول في إحدى الرباعيات:

هَـل زَادَ رِزقِيَ دُرًّا
حَتّى تَزِيدَ الضّرَائِب ؟
وصاحب الكوخ فقرا

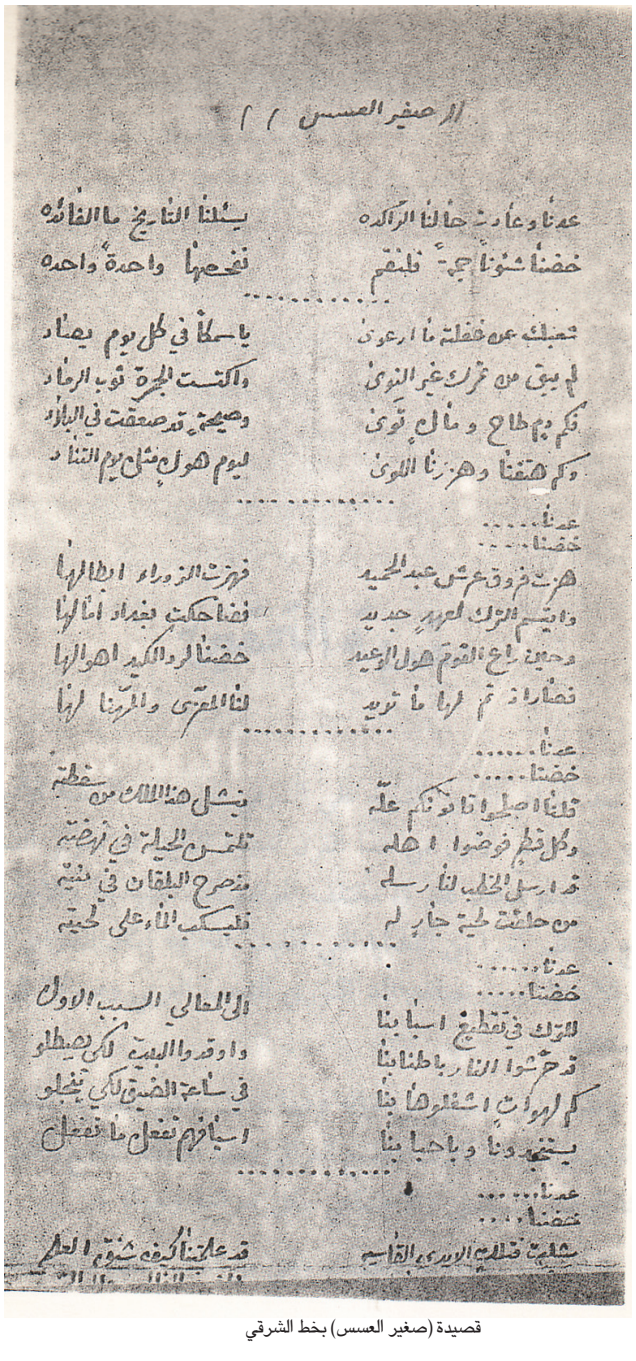

قصيدة (صغير العسس) بخط الشرقي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

قَد بَاع حَتَّى المَعاصب!
أ أنتَ تَسكُنُ قَصرَا
من كدِّ أهل الـضَّرَائب ؟
بَغاثُ طيرِكَ يُضري
وَنَسرُ قَومي يُراقب

ونحاول الان أن نتطرق إلى أاشعار أخرى من الشّاعرلدراستها وغالباً ماتكون لها وجهة سياسية ناقدة فنراه عند إحتلال الايطاليين لطرابلس الغرب وبرقة يقول:

مَا لرُومَا فَلَااستَوَى عَرشُ رُومَا
فَتلَت ذَيلَهَا وَعَجّت نُباحَا
جَبُنَت عَن نِضَال كُلِّ قوىً
فَأغَارَت علَى الزُّوايا إكـتِسَاحَا
نَطحَت (برقةَ) وَ برقةُ
وَاحاتٌ من النّخل مَا عَرفنَ الـنِّطاحَا
أ بَني العَرب لَا براحَ عَن الحَرب
وَ لا عَـن الـفخَار براحَـا
ورِمَالُ الصَّحراءِ لَا تُرهِبُ الأَشبَاحَ
إن جئن جـيئةً وَرواحَا

لقد شبّه الشّاعر الرومان بكلاب سائبة فتلت ذيلها وغدت تنبح على الضعفاء وأبت أن تلتقي بالأقوياء وذلك استهزاءاً بهم وبفعلتهم الـنكـراء. ورأيـنـاه في بعض رباعيـاتـه يـقـارن بـين العقيق والخزف،والزخارف والتحف وبين التمر والحشف،فهو يصورحالة العراق المأساوية حيث يُفضّل عندهم الردئ ويترك الاصيل وايضاً نـراه يشتكي ويتذمّر من بعض الحكام لاستسلامهم للغرائز و وقوعهم في الاخطاء الغير مغفورلها ،ويذكربأنّ جنون شخص واحد يزعجه فكيف وإن اصبح المجتمع بأكمله مجنوناً، وهذه الأشعار لا تحتاج إلى شرح فهي سهلة الفهم والدرك من قبل الباحثين في الادب العربي:

خَـليـلَـيَّ مَـاذَا يَـقُـولُ العِراقُ
إذَا قِـيلَ بَـغـدادِه وَالـنَّـجَـفْ
يَـمُـوجُ دَمـاً قَـلـبُ هَـذَا الـعَـقِـيقِ
لسُوقٍ تَزَاحَمَهُ بِالـخَـزَفْ
أَسُـوقُ الـزُّخـارِفِ وَالـتَّـافِهَـات
فَـيكَ تُـعارِضُ سُـوقَ التُّحفْ
مَـضَـى زَمـنُ الـتَّـمرِ يـا غَارِ سِينَ
نَخِيلاً وَجَاءَ زَمانُ الحَشَفْ

×××

أتَـخـضَـعُ دَولَةُ الـعُـقَلاءِ دَومـاً
لسُلطانِ الغَرائزِ وَ الطَّبَاعِ
وَهَل لِلنَّاسِ أغـرَاضٌ بِحَرب
تُؤَجِّجُ غَيرَ أغرَاضِ الضِّباعِ
مُيولٌ ضَارِيَاتٌ مُبهِمَاتٌ
تُحَفِّزُنَا لِـدُنـيا مِـن صُراعِ
جُـنُـونُ الـفَـردِ يُـزعِجُنَا
وَ يُؤذِي فَوِيلٌ مِن جُنونِ الإجتِمَاعِ

لقد هام على الشّرقي بوطنه وبلاده و رثى لحالها وطلب رقّيها ورفعتها ومجدها،و ردّد في شعره أقطار العروبة من مصر و الشام والحجاز و نجد و طرابلس وفلسطين.

وأقض مضجعه خمول العراق ،فقال:

نَطَقَت بحَاجتِها الشّعوبُ وُفصِّحَت
وأرَى عِراقي وَاجِماً لا يَنطِقُ
وَكأنَّ هَذا الشّرقَ سِفـرُ غَرائِب
شَرِحُوا عليه الدَّارِجُون وعَلّقُوا
خُتِمَت صَحائِفُهُ وَجِئنَا بَعدَهَا
حَتّى كأنّا فيهِ فَصلٌ مُلحقُ

و هو في بعض رباعياته يطلب بأن يتركوا عتاب بغداد فهي تملّ اللّوم والعتاب ، ويطلب من الناس الهدوء والّا يحركوا ساكناً خوفاً على حرية الانتخابات،فهو في المقطوعات التى تاتي لاحقاًيسخربكلّ جراة من الوضع السّائدفي البلاد،من الانتهاكات ومن اضطهادالشّعب ، فالشّعب يكدّ ويتعب ولكن لا يحصل على قوته و إن تفوّه بكلمة يرمى في السّجن،وإليك ما يقول:

اطرَحُوا الهَمّ وَلا تَركسُوا
في العَتبِ ،بَغدادُ تَملُّ العِتَاب
وُفّقتُم لِلخَيرِ لا تَعطسُوا
خَوفاً على حُريَّةِ الإنتِخَاب
يَا أيُّها البيتُ الّذي أسّسُوا
بُورِكتَ مِن بَيتٍ لَه ألفُ بَاب

×××

لِلسِّعرِ نَعمَلُ دَائِمَاً
وَالنَّحلُ تَعمَلُ لِلعَسَل
بَلَدِي رُؤوسٌ كُلُّهُ
أرَايتَ مَزرعَةَ الـبَصَل

×××

أُنظُر إلى سبحَتِه
تَعرِفُ مَا أقُولُ لَك
شَيطَانُه كَـخَيطِهَا
بَينَ الثُّقُوبِ قَد سَلَك
مَا اسوَدَّت السَّبَحَةُ
لَـكن قَد أرَتـنَا عَمَـلَك

×××

ذَهَبَت سـوالِفُنَا فَهَل
عِـندَ العَـجُوزِ سوَالِف
فِي جَانبَي قَلبِي تَهُبُّ
عَـوَاصِفٌ وَ عَـواطِـف
إتمامُ شُغلِ البَرلَمَان
مُـوافِـقٌ وَ مُـخَـالِـف

×××

إنّا تُقَارِعُنَا وَ أورَاقُنَا
لابُدَّ أن تُسحَبَ عَمّا قَـرِيب
نَصيبُ هَذَا القُطرِ لِمَلوَمَة
عَلَى الكَراسِي لَعِبَت يَا نَصيبُ
يَا رِفاقِي وَلا تَرَى العَينُ إلّا
جِسمٍ حيٍّ وَ فوقَهُ رَأسُ مَيّت
قَد شَبَّبتُم أطرَافَ بيتِي نَـارَاً
وَادّعَيـتُم بِـذَاكَ تَنوِيرُ بَيـتِي
تَهذِي بِـإصـلاحِ الـبِـلادِ
وَفِعلُنَا عَـطُ وَ مَـط
اُنظُر لِـوَضعِ بِلادِنَا غَلَط
يُـصَحِّحُ فِـي غَـلَـط
مَا تَغيّرت يَا وُجوهُ بِلادِي
فَـإلامَ الأذقَـانُ وَ الأسـبَال
يَا رِفاقِي هَيهَاتَ يَسعَدُ شَعبٌ
طَرَفَاهُ عَـمَامَـةٌ وَعِـقَال
وَإذَا الفَأرُ وَالسِّنَانِيرُ عَاشَا
بِـوئَـام لَـم يَفلَحِ البِغَال

أنَا أشكُو وَأنتَ تَشكُو وَ كُلُّ النّاس تَشكُو وَالبَعضُ شَكوَى الجَميع نعم ؛أيُّها القارئ المحترم ،لقد شاهدنا فيما سبق من أبيات كيف ينتقد شاعرنا وضع العراق السّياسي المتدهور خاصة البرلمانيين منهم حيث لا يُجدون نفعاً لمجتمعهم، وشغلهم الشّاغل هو التصويت على ما يُؤتَى به في البرمان بالموافقة أو المخالفة.

الشرقي في عقد الخمسينيات

ويأتي ضمن أبياتها من باب الإستهزاء والسّخرية بالفاظ كـ«عط ومط»وغالباً ماتستخدم هكذا الفاظ للتمسخر والاستهزاء لأنّ الكلام باصلاح البلاد ،كلّه هُراء وكلام زائف ،فهو يرى أنّ وضع العراق غلط في غلط ولا صحيح فيه، ويرى عدم سعادة شعب بلاده ،هو اولئك الأشخاص الذين يمسكون بزمام الامور، فالكل يشكو هذا الوضع الغير مرضي،و نراه أيضاً يتحدث عن فقر مدينته النجف وأحلامها العريضة،تلك البلدة التي كماقال:

فيهَا مَفَاتِيحٌ لِأبواب
الرَّجَا وَ بِهَا مَـغَالِق
وَلَهَا مَجَازٌ يَنتَهِي
بالسّالكينَ إلى حَقَائِق
مَلأى بِكلِّ طَرِيفَة
مِن كلِّ مُعجِزَة وَ خَارِق

ويقال إنّه حَارَ و رفاقه من الشّباب في التماس الرّزق، فالّفوا«شركة مقاومة الفقر» وشرعوا بطبع الكتب والدواوين الشّعرية. ثم ضربوا في القرى ومنازل الريفيين والعشائر،وباتوا في الخيام والعراء و حجرالطين التي تجري فيها الفئران وتصب السّقوف مبزاب امطارها،و جابوا ساحات الحرب و دهاليز الخليفة وميادين الثورة و الجهاد...وقد كتب الشّرقي صفحات صادقة من تجارب الشّباب وتجولاته وتطلعاته، و صفحات تمتاز بنثرها القلق القافزالمتعثّر وتكاد تشبه أحاديث جان جاك روسو في اعترافاته.وقد قال:

الدَّمعُ غَاطِقَةٌ يَجيشُ بِهَا الأَسَى
لِتُراوِحَ الأَشجَانَ أو لِتُرِيحَا
قَلِقُ الجُفُونِ وَقَد أرَوَّحُ بالبُكا
عَيناً تَسيلُ مُعَذِّباً وَمُرِيـحَا
مَـا هَذِهِ العَبَراتُ إلّا زَفرَةٌ
بَرَدَت فَعَادَت مَدمَعاً مَسفُـوحَا
تَتَعَلَّقُ بالأهدَابِ قي أذيَالِهَا
حرصَاً وَ يَنقُضُهَا البُكا لِتطيحَا
أخشَى عَلَيهَا أن يَصدَعَهَا الثَّرى
دُرَرَاً فَأرخِي عقدَهَا تَسرِيـحَا
دَرسُ الصَّبَابَةِ كم قَرَأتُ بِلَوحِه
عِبراً وَ وَحياً لِلعَوَاطِفِ يُوحَى
فَضَحَ الشّعورُ بِه،وَلَم أك شَاكِياً
إلّا لكوني شَاعِرَاً وَفَصِيحَاً
في النَّفسِ أشيَاءٌ،فَهَل مَوضِعٌ
حُرَّ الفَضَاءِ لأشتَكِي وَأبُوحَا؟

فهو يخفي في صدره اشياء كثيرة لا يستطيع أن يبوح بها ،لأنّ بلاده لا مكان للحرية فيها ،فالحرية تُلفظ و لا يُعمل بها،شعاراتٌ تُكتب ويُهتف بها من قبل السّياسين في الدولة ،و الشّعب محرومٌ منها ولو أراد النطق بكلمة أُخرست الكلمة في الأرحام وكتب عليها أن لا ترى النور،نعم ؛الشاعر لا يرى مكاناً أو موقعاً يلجأ إليه ويبوح له بما يُكنُّ في صدره ويشتكي إليه،ثمّ يذكركثرة الشّوك في بلاده دون نبتة الشّيح،فكل ماهو موجود في بلاده يدعو إلى الالم والحزن فيبادربانتقاداته هذه عَلّا تجدي نفعاً،بعد ذلك يأتي بحادثة الطوفان ،ذلك العذاب الإلهي الّذي أبتُلي به قوم نوح ولم ينجو منه الّا مَن ركب السّفينة،أمّا بالنسبة للأناس الّذين هم من أبناء جلدته،لا يرى لهم أيّ منجى من ذلك الطوفان ،لأنّ الكلّ إتّخذ مسيراً أعـوج يهدي إلى الضّلال وتركوا الصّراط المستقيم ، الكلّ غارق في الاثم وارتكاب الكبائر من الذنوب. والشّاعر يحاول جاهداً أن يهدي قومَه إلى ما هو صحيح وان جلبله الموت فنراه لا يخشى الموت في سبيل الهداية إلى سواء السّبيل،فيشبّه نفسه بالعود،لأنّ العود عند إحتراقه تفوح منه رائحة زكيّة طيبة وها هي الأبيات المنشودة:

مَا أكثرَ الشّوك المُؤلِمَ لِلحَشَى
في ذي البلاد،وَ مَا أقلّ الشّيحَا
عَمّ البلى فَلَو أنَّ طُوفَانَا أتَى
هَذَا الوَرَى لَم يَبقَ مِنهُم نُوحَا
مِن كلِّ مَن مَلأ الضَّلال رِدَاءَهُ
وَالإفك يَملأُ ثَغرَهُ تَسبِيحَا
فَلأنصَحَنَّ قَومي وَ إن جَلَبَ الرّدَى
فَالعُودُ يَحرُقُ نَفسَهُ لِـيَفُوحَا
قَالُوا: الصَّحيحَ نَرَى قُلتُ تَفَقَّأت
عَينٌ تَرونَ بِها السَّقيمَ صَحيحَا
وَتَسَلَّقُوا بُشرَى بِرَجعَةِ يُوسُف
أنّى يَصدقوا فَليُنشِقُونِي الرِّيحَا
يَا دِيمَةَ الإصلاحِ رُشِّي مَوطِني
فَعَسَاهُ يَنبُتُ مُصلِحَاً وَ نَصِيحَا

ولكن هل النصيحة تُجدي نفعاً غير جلب الموت للشاعر،فهو يريد إحـراق نفسه لينتفع به قومه،و صورالسّخرية جلية في ذكره صفات أعينهم عندما ترى السّقيم سليماً،و هم لا يعرفون كوعهم من بوعهم. وهذه مقطوعة أخر في النقد البرئ والهادئ يقول فيها:

هَذي الرُّؤوسُ وَلَكن كلُّهَا وَجَعٌ،
وَذي العُيونُ وَلَكن كلُّها رَمَدُ
وَكم صُدُورٍ بِهَذَا القُطرِ فَارِغَةٌ
جَوفَاءُ لَيسَ بِهَا قَلبٌ وَ لا كبدُ
صُدورُ أندِيةٍ في جَهلِهَا انتَفَخَت
حَتّى تَشابَهَ فِيهَا الهِرُّ وَالأسَدُ

لاحظ أيّها المتذوق للأدب كيف هادن الشّاعر المغالين والمندفعين والمعتدلين المسايرين ونعى برفاهة العيش واكتفى بالنقد البرئ والهادئ،فنراه يسخر بطريقة هادئة حيث ياتي مع الرؤوس بالوجع والصداع وهو مرض الرأس،ويأتى بالرّمد للعين وهو مرض يختص بها.وأيضاً يأتي ويبين الصدور وكيف هي؟فيجيب قائلاً بأنها لا يوجد فيها لا قلب و لا كبد،هي جوفاء خالية من العقول يخيّم عليها الجهل،فهي من تفخة بجهلها،ويستوي فيها الهرّ والأسد وهنا تكمن السّخرية حيث جعل القطط تشابه الأسود. من قصائده الّتي تصور الحياة والمشكلات السّياسية والإجتماعية قصيدته المعنونة بقصيدته «مناجاة النجوم» وهي من أوائل ما كتب من الشّعر:

أمَـالِـئَـةُ الأبعَاد علماً وَحكمةً
تَعَالَيت أن يَحوي صِفَاتك شَاعِرُ
نَشَدتُك كَم طَالَعتِ قَبلِيَ حَائِرَاً
وَكَم بَاتَ يَستَقرِيك مِثلِيَ سَاهِرُ
أهِـيمُ إذا سَابَت غَدَائِرُ لَيلَتي
وَمَا أنَا مِـمَّن هَيَمَتهُ الغَدائِرُ
وَلَكنَّ لي بَينَ النُّجومِ سَرِيرَةً سَأبلَى
وَتَبقَى يَومَ تُبلَى السَّرائِرُ
سَلَامٌ عَلى أهل القُبُور فَإنَّني
بُليتُ بِمَوتَى مَا حَوَتهَا الـمَقَابِرُ

ينتقدالشّاعرفيما ذكرناه ما حلّ بالعراق من مشاكل سياسية وإجتماعية ويصور الأحياء من الناس موتى ،فيسخرمنهم أشد سخرية حيث يصفهم بأموات لم يُدفنوا بعد،أي أحياء في الظاهر أموات في حقيقة الأمر،فالشّاعر أبتُلي بهكذا أناس أموات صامتين ساكتين راضين بما يصيبهم من ظلم واضطهاد.

أما في ثنائياته أو (مزدوجاته) فقد أطلق صرخة ناقدة للوضع السّياسي آنذاك كما لم تخلُ من موعظة وحكمة يقول فيها:

عَازِفَاً فَوقَ كَومَةٍ مِن جَمَاجِمْ بَالِيات مِن أقدمِ الأحقاب
بَاحِثَاً في رُفَاتِها المَـتروكْ عَن رُؤوسِ الأعيانِ وَالنُّوَّاب
لَيتَهُ خُلَّ سَاعَةَ الإنعقادِ بَرلـمانٌ يُضَيِّعُ النَّاخِبِينَا
بَـاحِثٌ عَـن مُكَافَحَاتِ الجَرادِ وَنُـرِيدُ بَلِيّةَ الزَّارِعِينَا

والشّرقي غالبا ما يلجأ إلى الرمز للتعبير عما يجول في نفسه من احتجاج على تلك الأوضـاع التـي كانت تسود في العراق . وشعره خال من السّطحية والأسفاف والغموض والتعقيد ، وهـو يكثر من التشبيهات وله أسلوبه الخاص والمميز ويعالج موضوعاته بروح معاصرة بعيدا عن المباشرة والنقل الالى بل حافل بالصور الجديدة والمبتكرة والمعاني المستحدثة والعبارات الرشيقة . وعندما ينشد الشّرقي شعرا يعبر عن تجربة صادقة حية وفي المواقف الوطنية نـراه يصعد الحدث ، ويثير المشاعر ، ويلهب الأحاسيس لقضية عادلة ويجعلها في حالة تأجج وغليان . فعندما تطعن كرامة الأمة في الصميم من قبل أعدائها ، وتداس حقوق الشّعب وتصبح خيرات الوطن نهبا للأجنبي الغاصب لايكون للشاعر الصادق مع نفسه ومع شعبه غير خيار الإستنهاض والثورة على هذا العدوّ الدّخيل الّذي لاينتمي الى الوطن بصلة ويريد أن يتحكم برقاب الناس ظلماً وعدواناً.

اعادة جزء من فصل من كتاب مترجم عن الفارسية بعنوان دراسات في الشعر العربي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

شـــاعـــر وطـــنـــي صـــادق

مصطفى العمري

عندما شب الشرقي وتنفس هوى الشباب راح طلقاً يبحث عن الجنس الاخر لكي يشاطره هموم الايام ومصاعب الزمان ويلتف على حاله لينظر بعين المتأهلين ، هو الان يبحث عن شريكة حياة ، يسكن اليها وتسكن اليه ، يشكو لها طفولة يتيم ، وصبا الغربة ، وعذابات الشباب ، كان قبل هذا الوقت قد طُرح عليه هذا الموضوع لكنه لرغبة في نفسه او لهاجس يخشاه ابى الزواج واكثر الظن انه لازال يعاني اليتم . والمشكلة ان الناس لاتعرف معنى اليتم واثره في النفس ربما ترافق (فوبيا) الموت ذلك اليتيم وبشعور خفي لا يريد ان يتزوج ، لانه لا يود ان يصبحوا اولاده ايتاماً مثله ، فيبقى في هذا التفكير الى ان يصبح طاعناً في السن ، الخوف من الموت ، ليس الخوف من الموت نفسه ، بل الخوف على عائلته واطفاله ان يكونوا عالة على المجتمع والاقارب كما كان حاله . المهم تمنع الشيخ الشرقي في البدء عن موضوع الزواج . ثم انه ترك كل ما كان يفكر به من احباطات الماضي السحيق ليخرج الى اهله ومحبيه ليخبرهم انه قد عزم على الزواج من فتاة اختارها هو لنفسه ، وربما ان الفتاة اختارته لنفسها كذلك.

يقول المحقق الشيخ رياض الناصري في كتابه قبسات من تجارب الامم والشعوب ج ١ ص ٢٦١ :

(حدث للشرقي حادث جعل الجميع من كان قد سمع ولم يسمع باسمه ، ومن كان قد عرف الشعر ومن لم يعرفه ان يسال عن الشيخ علي الشرقي وهويته ومسكنه وشاعريته الفياضة.

اقدم على الزواج وللشرقي الشاعر عدد من الاصدقاء ، من حق الشاعر في ذلك اليوم على الشعراء ان يزفوا له التهاني بالقصائد وان يعدوا له سوقا ً يتبارى فيه الادباء بشعرهم ، وهكذا كان وكانت مقدمات العرس بمثابة ثورة في عالم الشعر والادب ولاسيما والفصل كان ربيعاً والنفوس تبتهج في الربيع ، وزفت العروس وما كادت تدخل الحجلة حتى شكت ، لقد شكت من عارض مفاجئ قالت : اني احس باني احترق ، احترق ، احترق وفي اقل من لحظات اسلمت الروح الى باريها فكانت فجيعة كبيرة دوى صداها في البلد بان عروساً تسلم الروح في ليلة زفافها ، وبين عشية وضحاها يتردد اسم الشرقي على كل فم بصفته الزوج المفجوع ثم لاتلبث ان تنتشر قصيدته الرائعة (شمعة العرس) التي يصف فيها اللوعة فتناقلتها الالسن فماً عن فم قبل ان تنتشر على صفحات الجرائد ، وهي ما نشرتها مجلة العرفان فيما بعد فلم يبق بالنجف من المتأدبين والادباء من لم يستظهر هذه القصيدة التي يقول فيها)

شمعة العرس ما أجدت التأسّي أنت
موقودةٌ ويطفأ عرسي
أنت مثلي مشبوبةُ القلب لكنْ من سناك
المشؤوم ظلمةُ نفسي

الشيخ علي الشرقي

يا رعى اللهُ للزفاف شموعا
يتهافتنَ حول نعشٍ ورمس
عكست حظُّها الليالي فذابت
خجلاً تسقط الدموعُ بهمس
هكذا ذاب باحتراق فؤادي هكذا
سَوْرةُ الدموعِ برأسي
جلوةٌ «أم مناحة» لنجوم
يتناثرنَ بَيْن سَعْدٍ ونحس
كان حَدْسي تذكو الأماني شموعا
والليالي خيّبنَ ظنّي وحدسي
الرجا كان شمعةً فتلاشى
وانطفا صارمُ الرجاءِ بيأس
أجفلتْ دهشةُ المصابِ الغواني
فتطالعنَ من سُتور الدمقس
تتبارى بخشعة وانصداع
تطأ الأرضَ بارَتباكٍ وهَجْس
كنجومٍ تَكَدرتْ فتهاوتْ
من سماءٍ إلى حظيرة قُدْس
فوجئتْ بالبكاءِ مذ جمد الدَّمْعُ
تباكينَ باحورارٍ ولَعس
أبدلوها عن المنصّة نعشا طالما
ضمَّ ربُّ عرشٍ وكُرسي
وترى نعشَها كباقة وردٍ
تتهادى الأكفُّ فيها بخَلْس
رقدت رقدةَ النديم بجنب الـ.
كأس في ساعة ارتياحٍ وأُنْس
وبحضن الربيعِ أغفتْ
فماتتْ ميتةَ الوردِ في ذبولٍ ويُبْس
رفرفت حولها البلابلُ حَرسا
وبكاها نزعُ الحُليِّ بجَرس
حزنُ وادٍ وارى شبابَكِ
ألا ينبتَ الوردُ فيه من كلّ جنس
أسفاً يُخرج الربيعُ الرياحينَ
من الترب وهْيَ في التُّرْب تُمسي
وكثيرٌ في ذا التراب رياحينْ،
تعطّلنَ عن نباتٍ وغرس
آه ... لحال هذا الحالم فقد تواصلت المصائب وكأنها تخبره ان كل حياته ستكون على هذا السياق فلم يعد البكاء مجدياً ولا العويل مفرج هماً ، ربما سوف تقضي عليه هذه الحادثة بالكامل وتقضي على اماله واحلامه ، ربما سوف يفرح الشانئون والمبغضون ، وسوف يحزن المحبون والمنصفون ، وبين كل هذه الشجون ينتفض الشرقي على حاله وعلى حواليه وكأنه يقول كما قال محمود سامي البارودي :

ما غيرتني محنةً عن خليقتي
ولا حولتني خدعةً عن طرائقي
ولكنني باق على ما يسرني
ويغضب اعدائي ويرضي أصادقي
فلوعة بعدي عن حبيب مصادق
كفرحة بعدي عن عدوٍ مماذقي

علي الشرقي ذلك الجسور لعبور المحنة ، يتقدم ، ويتقدم نحو التألق وباصرار هذه المرة لكي يخطو خطوات نحو مستقبله المنشود وهدفه الاسنى انه يلف الزمن ويطوي المحن لكي يكون هو علي الشرقي لاتحركه العواطف ولا تهزه العواصف ، ولا تخفيه الايام المضلمة . فوثب بعد هذه الحادثة المؤلمة وثبة من شمّر عن ساعديه لكي يسبح في ماء البحر الهائج واتاح لاساريره ان تنفتح لكي ينفتح امام هذا العالم المملوء والمغمور بالمشاريع الحضارية الهادفة ، والنزعة الشعرية الصادقة .

فيكتب عددا من القصائد الغزلية جريا على طريقة القدماء فهو يذوب ولو في خياله بالجمال ويجرأ وهو رجل دين كبير على قول اشياء تفصح عن عدم اكتراثه بمحيطه المتشدد فها هو يتغزل بفتاة جميلة ويدعوها لكي تسفر عن جمالها ، الامر الذي يعد مروقا عن الاخلاق وهتكاً للستر . علماً ان هذه القصيدة اتت بعد قصيدته شمعة العرس فيقول :

أقرأت مختلف السطور
بين الترائب والنحورِ
سبحان من صبغ الخدود
وقال للألحاظ جوري
ألحاظ ولدان سبت حورا
فقل ألحاظ حور
أفدي أسيرة خدها إن كان تقبل بالأسير
ذهبت بقلبي ضائعا
بين المضارب والخدور
أبت السفور فخالفت
لك سنة القمر المنير
نشوى بكأس نعاسها
سكرى بصهباء الثغور
أما بدت لك في الدجى
نار الخليل بطور نور
فقل السلام فإنها أنوار طالعة السرور

والشرقي غالبا ما يلجأ ألى الرمز للتعبير عما يجول في نفسه من احتجاج على تلك الأوضاع التي كانت تسود في العراق . وشعره خال من السطحية والاسفاف والغموض والتعقيد ، وهو يكثر من التشبيهات وله أسلوبه الخاص والمميز ويعالج موضوعاته بروح معاصرة بعيدا عن المباشرة والنقل الآلي بل حافل بالصور الجديدة والمبتكرة والمعاني المستحدثة والعبارات الرشيقة . وعندما ينشد الشرقي شعرا يعبر عن تجربة صادقة حية وفي المواقف الوطنية نراه يصعّد الحدث ، ويثير المشاعر ، ويلهب الأحاسيس لقضية عادلة ويجعلها في حالة تأجج وغليان . فعندما تطعن كرامة الأمة من قبل أعدائها ، وتداس حقوق الشعب وتصبح خيرات الوطن نهبا للأجنبي الغاصب لايكون للشاعر الصادق مع نفسه ومع شعبه غير خيار الأستنهاض والثورة على هذا العدو الدخيل الذي لايمت ألى الوطن بصلة ويريد أن يتحكم برقاب الناس ظلما وعدوانا وقصيدة (منجل الفلاح) تعبر خير تعبير عن تلك الرؤى فهو يدين فيها أولئك الحكام الذين بنوا قصورهم الشاهقة والمنيفة وسعادتهم

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

ونعيمهم الدنيوي على جماجم الفقراء والمسحوقين والمحرومين ويبين في هذه القصيدة الجميلة كيف سرق الحكام الطغاة قوت الشعب وهم غارقون في ملذاتهم ولهوهم وبذخهم دون الألتفات لمعاناة تلك الطبقات المسحوقة والمحرومة التي غدت جيلا من الأشباح حيث يقول في تلك القصيده:

أرهقت شدة المظالم جيلي
فأذا هم جيل من الأشباح
مالهذا الفلاح في الأرض روح
أهو من معشر من الأرواح ؟
هو في جنة ينال عذابا
وهو تحت الأشجار أجرد ضاح!
وقرى النمل لهف نفسي أثرى
من قراه ألا من الأتراح

ألى أن يقول :

رب قصر من فوق دجلة
كالطاووس للزهو ناشرا لجناح
أتراه مدته دجلة أنفا ؟
حين فاحت روائح القداح
نصبوه كمنبر من زهور
والمراقي كسوسن وأقاح
لو كشفنا أطباقه من أساس
لوجدناه منجل الفلاح !
أرهقته ضرائب باهضات
وديون ثقيلة الأرباح
لم يفده سلاحه فهو ليث
قتلوه صبرا بغير سلاح !
لو كشفنا عن قلب ذاك المعنى
لوجدناه مثخنا بالجراح !

علي الشرقي كان يمتلك حساً وطنياً صادقاً ونقداً جريئاً هادفاً كان يعترض على اعمال الصعاليك من المتخفين وراء الاسماء ، و المتلبسين بالرياء ، وما اكثر هذا الغثاء ، في امة الضعفاء والجهلاء . الشرقي في ابياته التالية كأنه يلوح لنا من بعيد ان حاضركم كماضينا وما اشبه اليوم بالبارحة الكل يزعم انه يريد اصلاح البلاد ، والكل يهشم بالبلاد ، باسماء مختلفة والوان متعددة ومظاهر للتغير متنوعة لكن تبقى لغة الانا عند العربي والعراقي خاصة هي السمة البارزة فيقول ناقداً او ساخراً :

نهذي بإصلاح البلاد وفعلنا عط ومط
انظر لوضع بلادنا غلط يصحح في غلط
الفأرُ قرَّض ثوبَنا البالي ونتهم القطط

ويتحول الشرقي الجريئ الى نقد الاشخاص الذين يعتاشوا على ايهام الناس انهم خير من يعرف الله .

انظر إلى سبحته ترضى الذي أقول لك
شيطانه كخيطها بين الثقوب قد سلك
ما اسودت السبحة إلا لترينا عملك

هنا نقد واضح وصريح الى الذين يلهثون باسم الدين ولايعرفون عن الدين الا اسمه ، تحسبهم يسبحون وهم غافلون ويصلون وهم ساهون .

علي الشرقي رجل الدين الحقيقي الذي يدعو الى احترام مبادئ الاخرين و دياناتهم ، لذلك كانت له علاقة حميمية بين اهل الديانات الاخرى . مثل الاستاذ مير بصري والشاعر انور شاؤول وهما يهوديان اهدى الشرقي ديوانه عواطف وعواصف الى مير بصري فكتب هذه العبارات (صديقي الأستاذ مير بصري بين يديك عواطفي وعواصفي بهيئة ديوان شعر يقول لك اذا جاز ان تحمل الفاكهة الى بستانيها فإني احمل اليكم هذا الاثر مع اخلاص صديقك علي الشرقي) ! وقد بكاه مير بصري (.. إيه ابا حسان ايها الانسان ..إني لأذكر ساعات واياما وسنين مضيئة قضيتها متمتعا بادبك الرفيع ولطفك الجم ومودتك الجميلة المتواضعة ... وإن انسى فلن انسى انني زرتك قبل مرضك القاتل وكان لديك جمع من الزوار فلما استاذنت بالخروج ومضيت في توديعي متفضلا الى الباب قلت لك اريد ان استشيرك في امور يا ابا احسان فاسمح لي ان ازورك في فرصة قريبة وقلت لي بل عد الآن وانا كفيل بصرف الزوار فنختلي ونتكلم ولكنني قلت لا داعي للعجلة وانصرفت ولم اعلم ان القدر يقف بالمرصاد وان زيارتي التالية ستكون للسؤال عن صحتك وانت راقد في الفراش تعاني اوصاب الداء الفتاك ثم دق جرس التلفون بعد ايام قليلة وكان نعيك الذي صك سمعي واضنى نفسي وادمع عيني) والحق كانت هذه من اروع الكلمات واصدقها واروعها وهي تصح ان تكون مثالاً للواقع العراقي الحالي الذي هب فيه العراقيون لكي يدبغ جلد احدهم الاخر بعد ما قطعه ارباً قربةً الى الله تعالى!!.

حكى الدكتور السيد مصطفى جمال الدين ان مجلس الشرقي يوم الجمعة يبتديء مبكرا مع الصباح فالجميع يتناول معه القهوة ثم تتوالى صواني الإفطار ! وكان الشرقي يستثقل مجيء احد الشيوخ السذج وكان الشيخ الثقيل اسمر البشرة مع بثور الجدري وهو لايفهم ولايقرأ ولكنه كثير السؤال والإلحاح ! ومرة كان الشرقي محتدا يتحدث عن شان عراقي يؤلمه ويريد ان يتعرف على رأي جلسائه ! وكانت عادة الراغب في السؤال او الحديث ان يرفع يده فإذا سمح له الشيخ تكلم ! فرفع الشيخ الثقيل يده فظن الشرقي انه سيتحدث عن الشأن العراقي فقال له الشرقي تفضل مولانا ! فنهض الشيخ يرعش وقال له : بأدبية شيخنا عندي سؤال فقال له تفضل فسأل شيخنا : اهل بغداد شنو الذي ياكلوه وتصير وجوههم متفخة وبيضة ؟ فأجابه الشرقي على الفور : اول شيء انت اجب على سؤالي لك والدك الله يرحمه شنو الذي كان ياكله بحيث طلع وجهك مثل الخبزة المحروقة . ! ويروي الشيخ علي الشرقي في مجلسه الصباحي حكاية تتعلق بالإساءة اليه وقدرته على تحويل المؤلم الى نكته تضحكه . صيف ١٩٣٥ حصل هياج في مدن النجف والكوفة وكربلاء مظاهرات وخطابات وهوسات وكان ذلك احتجاجا على اجراءات حكومة علي جودت الأيوبي بشان العتبات المقدسة وكان يقود المحتجين المدنيين سماحة الشيخ عبد الكريم الجزائري والمحتجين القرويين الزعيم الشيخ عبد الواحد آل سكر ! وفكرت الحكومة بتهدئة الحال والتفاوض معهم . وفي هذا الحال ضغط الشيخ علي الشرقي على صديقه جودت الايوبي بما يشبه التوبيخ وانتصر للمحتجين في النجف فقررت حكومة الأيوبي أن ترسل الشيخ علي الشرقي لتهدئة الخواطر والتفاوض حول مطاليب المحتجين .

حين كان علي الشرقي قاضيا في المحكمة الشرعية بالبصرة زار بيت صديقه السيد عباس شبر فتناول الافطار معه في حديقته فابصر من خلال السياج الحديدي المشبك خندقا عميقا تتجمع فيه المياه الضحلة فكتم الأمر في نفسه وهو لايعلم ان هذا الطبر ضروري لحماية بيوت المحلة كاملة من الغرق وقت الامطار ! وما إن غادر الشرقي المكان حتى هاتف متصرف اللواء (المحافظ) وطلب اليه الإيعاز بردم الخندق فورا ! وهكذا لم تغب الشمس الا والخندق قد ردم بالكامل وبعد أيام امطرت الدنيا وفاضت بيوت المحلة ومنها بيت السيد عباس شبر فسأل السيد شبر المتصرف عن السبب في ردم الخندق فأخبره ان صديقه القاضي طلب ردم الخندق حتى لايكون مصدر ازعاج لك فضحك السيد شبر ، وشر الأمور ما يضحك وخابر صديقه الشرقي وقرا له قصيدة مطلعها :

فضل الصديق على المحلة جاري
وكذا علي إن أحبَّ فدأبه

جذب الصديق للذة الأسفار
قل لي اذا كانت لديك رسالة
فلقد نوت داري على الإبحار

فضحك علي الشرقي وطلب الى المتصرف إعادة الخندق الى سابق عهده .

والشاعر علي الشرقي يختار اصفياءه على مقاس طباعه ومبادئه ايضا ! وكل اصدقائه اعلام كبار مثل الدكتور صالح جبر وسعد صالح جريو والشيخ خيون آل عبيد وعبد الله القصاب وحميد خان وعبد الحسين الازري وجعفر الخليلي وعبد الرزاق الحسني وعبد المحسن السعدون ومحسن شلاش ورشدي الجلبي ومن هؤلاء الشاعر الكبير مثل الازري والكاتب الموسوعي الكبير عبود الشالجي والزعيم الوطني العظيم سعد صالح ورئيس الوزراء مثل صالح جبر ! ويروي صديقه الاستاذ جعفر الخليلي ان السعدون هو الذي رشح الشرقي نائبا على لواء المنتفك بيد انه لم ينجح فغضب السعدون على فيصل الاول والسعدون حاد المزاج والملك هاديء الطبع فقرر الملك تعيين علي الشرقي قاضيا ممتازا وبراتب يعادل راتب وزير ! فطاش طيش حساده فخرجوا في مظاهرات صاخبة خشية على بيضة الدين من قضاء علي الشرقي وهم يعرفون نقاء الشرقي وتعففه وعمق تدينه ولكنه الحسد وكان الله في عونهم حين اصبح الشرقي وزيرا وزعيما وطنيا كبيرا ، واعتقد ان اروع شيء رد به الشرقي خصومه بعض من ابيات الشعر التي يقول فيها :

ذممتُ التعصبَ من قبل ذا × وها انا في ذمه لاهج
دعونا نوسع آفاقنا
ليقبلنا المزج والمازجُ
اقولُ وقد سالتني الرفاقُ
أأنت على وضعنا خارج ؟
أبى الثمرُ الفجُ عن أصله
فصالاً وينفصل الناضج

يقول صديقه المؤرخ الكبير الاستاذ مير بصري : كان الشيخ علي الشرقي متواضعا انيس المحضر لايانف وقد اصبح شاعراً عربياً ووزيراً عراقياً مرموقا ان يتحدث عما لقيه في صباه وصدر شبابه من ضيق وشظف عيش !.. كان عاطفيا سريع الانفعال في حياته الشخصية والادبية وقد اثر فيه يتمه ونشاته الصعبة في البيئة النجفية الجامدة تاثيرا عميقا ولذلك نرى شعره يختلف اختلافا بيناً عن شعر معاصريه بكثرة مجازاته وايماءاته وصوره الغريبة وحدبه على الفقراء والفلاحين والكادحين فهو يصبو الى الحرية والأنطلاق ويرنو الى آفاق بعيدة خارج مجتمعه فيحمل على رجال الدين المتزمتين ويداعب الافكار الحرة الجديدة التي انبعثت من النهضة الفكرية في مصر ولبنان .. ويقول صديقه البروفسور دكتور مايكل همبل الذي نال الدكتواره الأولى في جعفر الخليلي والأخرى في علي الشرقي ص ٣٦٥ : علي الشرقي ذو سحر عجيب على جلاسه ! فذاكرته واسعة جدا ! وبديهته حاضرة تنجده فورا ! وله وسيعتان تقدحان ذكاء وفطنة غالبا ومكرا احيانا ! خلال اقامتي معه لبضعة ايام اكتشفت انه يقرا اكثر مما يكتب ويسمع اكثر مما يتحدث ! يطوي جناحيه على جروح فاغرة بسبب الحملات النشطة التي نهضت ضده من مدينته وابناء طائفته .

ويقول اقرب الناس اليه الأستاذ جعفر الخليلي والشرقي عف اللسان كريم النفس فيما يقول ويكتب وقد تعلمت منه مخاطبة من هو في عمري ومن هو اكبر سنا مني ومن اريد احترامه بيا سيدي في الكلام وفي الكتابة وهي في لسانه كلمة حلوة عذبة تشعرك بانه لايقصد التواضع حين يخاطبك ياسيدي وانما يقصد به احترامك واجلالك لا غير . من اشعاره التي ذهبت مثلاً عند الناس هي :

حتى اذا حم الكفاح
نبا السلاح المبتذل
وتكسرت فوق الصخور
قرون اكباش الدجل
اما البطولة فهي في
افواهنا لما تزل
قومي رؤس كلهم
ارأيت مزرعة البصل

يقول الاستاذ غالب طعمه :

علي الشرقي شاعر كبير ذو نفس كبيرة ووطنية صادقة وقلب خفاق واحساسية مصورة تشعر بخفايا الاشياء وتنفذ الى اعماق اعماق الوضع ، فهي طبيعة خالدة تلاها نفوس الشعراء الملهمين الواعين والمتطلعين الى الافق الواسع في الحياة السعيدة للمجموع العام وتفكر التفكير الواسع في الوقائع . علي الشرقي شاعر الطليعة المتحررة والرعيل الاول وتلك اتم تسمية وافية للشاعر تعبر عن الدور الذي قام به . بعد هذه المعاناة الطويلة والعمر الذي كرسه في خدمة وطنه واهله وشعبه أفلت شمس الشيخ علي الشرقي في ١٩٦٤ مخلفاً ارثا خالداً وثقافة خلاقة وادباً جماً مع روح الاصرار الى الوصول الى نهاية الطريق .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

الشاعر المجدد

محمد كاظم الكريطي

كان من العسير التكهن بولادة جيل من الشعراء يضاهي – أو على الأقل يساير – جيل الشعراء العمالقة في العراق في القرن الثامن عشر أمثال السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد حيدر الحلي والشيخ عبد المحسن الكاظمي وغيرهم، لكن الجيل الذي تلاه لم يكن يقل عنه – إن لم نقل أنه فاقه – في إنجاب الشعراء الكبار الذين رفعوا راية النهضة الأدبية في العراق وسعوا الى تطوير الشعر شكلاً ومضموناً وخاضوا به مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والفكرية وعالجوا به كثيراً من القضايا التي تستحق المعالجة لذلك تميز شعرهم بالثراء وكثرة التفاصيل وتعدد المفاصل والموضوعات وكان من أقطاب هذه النهضة الأدبية الذين تركوا بصماتهم واضحة الأثر في تطور الشعر العربي وسجلوا أسماءهم بحروف لامعة في سجله الخالد الشبيبي و الصافي والجواهري وشاعرنا علي الشرقي الذي اشتهر برباعياته التي تناول فيها بعض القضايا الفلسفية وقضايا الحياة وكثيراً من مشكلات المجتمع العراقي ومنها مشكلة الفلاح وكان يستهدف بذلك الوضع السياسي والاجتماعي بكل صراحة وجرأة.

ولد الشاعر الشيخ علي ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ محمد حسن بن احمد بن موسى بن راشد بن نعمة بن حسين في مدينة النجف الأشرف عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩٠ م وينتمي في نسبه الى عشيرة الفراغنة وهم من بني خيقان وهي تشكل جزءاً من مجموعة العشائر القحطانية التي يسكن معظمها في سوق الشيوخ في الناصرية حيث كانت عشيرة الشاعر تسكن على ضفاف الغرّاف بالقرب من قرى (حطامان) التابعة لقضاء الشطرة.

نشأ شاعرنا في بيت علم وأدب فقد كان والده الشيخ جعفر الشرقي من كبار الشعراء والعلماء آنذاك كما كان خاله الشيخ عبد الحسين بن عبد علي الجواهري – والد الشاعر الجواهري – من المراجع الكبار والعلماء الأعلام والشعراء الأفذاذ وكانت صلة شاعرنا به وثيقة كما كانت له قرابة أيضاً مع الشيخ هادي ابن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء وقد مكنته هذه الصلات والوشائج من التحصيل الجاد ومواصلة البحث وممارسة الأدب.

يقول شاعرنا وهو يصف بواكير حياته العلمية والأدبية في النجف واصفاً الأجواء والمجالس التي نهل منها علومه وآدابه فيقول: (نشأت ورفاقي في مدينة النجف فكانت التلمذة في أقدم مدرسة للأدب العربي تلك المدرسة التي مشى إليها الموكب من جزيرة العرب الى الحيرة ومنها الى الكوفة ومنها الى النجف وهي نسيلة الكوفة أو بقيتها).

تعد النجف من أهم المدن العلمية والأدبية المحافظة على التراث العربي والاسلامي وقد درس فيها شاعرنا العلوم السائدة آنذاك كالنحو والصرف والبلاغة والمنطق والأصول والفقه كما درس الفلسفة ولكن شاعرنا لم يكتف بهذه العلوم بل أخذ يتطلع الى الآفاق الأدبية فيقبل على الشعر يقرأ ويحفظ منه الكثير.

وكان لإمامه الكبير بالتراث العربي القديم واطلاعه الواسع على التيارات الأدبية التي كانت تطل على العراق في أوائل القرن العشرين من خلال الصحافة العربية في مصر وسوريا أثر كبير في نبوغه وتفتح مواهبه فكتب الشعر وهو في سن مبكرة فقد ظهرت بواكير شعره في السياسة عام ١٩٠٨ بما كان ينشره في الصحف آنذاك من قصائد تصور الحياة والمشكلات السياسية والاجتماعية يقول في قصيدته (مناجاة النجوم) وهي من أوائل ما كتب من الشعر:

أمالئة الأبعاد علماً وحكمةً تعاليتِ أن
يحوي صفاتكِ شاعرُ
نشدتكِ كم طالَعتِ قبليَ حائراً وكم بات
يستقريكِ مثليَ ساهرُ
أهيمُ إذا سابت غدائر ليلتي وما أنا
ممن هيّمته الغدائرُ
ولكن لي بين النجوم
سريرة سأبلى وتبقى
يوم تُبلى السرائرُ
سلام على أهل القبور
فإنني بُليت بموتى ما
حوتها المقابرُ

تطلع الشرقي الى آفاق جديدة في مراحل شبابه وقد ساعده على هذا التطلع استعداده الفطري وسعة اطلاعه على الثقافات المعاصرة في البلاد العربية وكذلك أسفاره التي قام بها الى خارج العراق حيث زار لبنان وسوريا والحجاز والخليج العربي وقد ظهر أثر هذا في شعره الحافل بالصورة الجديدة المبتكرة والمعاني المستحدثة والعبارات الشيقة.

أما شعره السياسي فقد طفح بحسه الوطني في مقارعة الاحتلال والدعوة الى الحرية والاستقلال يقول في قصيدته تحية العلم العربي والتي قالها عام ١٩٢١:

أمدينة في إثر أخرى تستبى وطريقة في إثر
أخرى تعتفى
حتى إذا رجفت ديار ربيعة وتزعزعت
أرض الحجاز تخوّفا
والشام قد أودت وأودى أهلها إلا قليلاً
والعراق على شفا
حسب الجزيرة حيفها وجفاؤها أو ما
كفى ضيم البلاد أما كفى
كان الشرقي منذ شبابه يتحف بشعره
هذا صحف العراق ولبنان على
شكل قصائد و رباعيات وموشحات
ومزدوجات وقد تناول فيه كبقية
معاصريه من كبار شعراء النهضة
الأدبية قضايا الوطن العربي في
الحجاز وسوريا ولبنان ومصر وليبيا
وكان شاعرنا يشارك في تلك الأحداث
مشاركة واعية ظهرت بداياتها في
حرب طرابلس مع ايطاليا في سنة
١٩١١ فكان له فيها العديد من القصائد
يقول في إحداها عام ١٩١١ عندما
هاجم الايطاليون طرابلس الغرب
وبرقة:

ما لروما فلا استوى عرشُ روما فتلت
ذيلها وعجّت نباحا
جبنت عن نضال كل قوي فأغارت على
الزوايا اكتساحا
نطحت (برقة) وبرقة
واحاتٌ من النخل ما عرفن النطاحا
أبني العرب لا براح عن الحرب
وإلا عن الفخار براحا
ورمال الصحراء لا ترهب الاشباح
إن جلن جيئة ورواحا

كما لم يغفل الشرقي جانباً كبيراً من رسالة الشاعر وهو الدعوى الى الوحدة ونبذ الخلافات فقد كان شاعرنا يمارس هذه التجربة في شعره بإسلوب هادئ ومتزن ورصين:

هل تدري صنعاءُ ونجدٌ
أننا نحتاج تأريخاً جديداً للعربْ
قد طُوي الفسطاط من مصر
وقد نامت بنو حمدان عنك يا حلبْ
وكوفة الجند اضمحلّ جندُها وقد خلا
المنبر من تلك الخطبْ
لا ريشة للصقر في أندلس والشام
لم يبق بها إلا الزغبْ
تناست البصرة أخوان الصفا
وانقطع (المربد) عن كل سببْ
فقل لصنعاء ونجد إذ أتى دورهما
هل يرجعان ما ذهبْ؟
بغداد ما عاد الفرات يابساً
وأرض مصر لم تهدّد بالجدبْ
بوركت يا نيل فقد أخصبتها
بحاصل من أدب ومن نشبْ
أ ما

باقي قصائده فنجد فيها شعراً رائقاً دلّ على باعه الطويل في التراث العربي واطلاعه على الثقافات المتجددة ففي قصيدته (السيف والقلم) التي عارض بها قصيدة أبي تمام:

السيفُ أصدق أنباء من الكتبِ
في حده الحد بين الجدِ واللعبِ
فيقول شاعرنا وهو ينتصر للقلم على السيف:

هذّب يراعك وأنصر دولة القلمِ
وأحمل على الدهر في جند مَن الكلمِ
السيف يثلم إن طال القراعُ به
وفي اليراعة سيف غير منثلم
لم يقسم الله في الذكر المبين به وإنما
شرف الأقلام بالقسمِ
لا يصلح السيف إلا لَلقراع
وذا للعلم، للفضل، لَلآداب، للنعمِ
أن أصبحت أمةٌ بالسيف بائدةً
إن اليراعة تحيي سالف الأممِ
ما علّم الله انساناً بصارمه
وإنما علم الانسانَ بالقلمِ

وقد أبدع الشاعر أيّما إبداعَ بموشحاته حتى يكاد لمن يقرأ هذه الموشحات أن يظن أنه يقرأ لشاعر أندلسي، ويقول شاعرنا عن السبب في ميله الى هذه الموشحات (تجدني أحاول الزحزحة عن الاتجاه القديم فأخرج عن الأدب المدرسي حتى لا يكون ما أنظم وقفاً على طائفة خاصة اعتادت أن تجعل معاجم اللغة الى جنب الدواوين على أني أحرص كل الحرص على اللغة الفصحى وجمالها كما وأنحرف عن القصيدة المطولة ذات الوزن المديد الى الشرقيات والموشحات لما في ذلك من حسن الإيقاع وبراعة الاختصار فقد لطف ذوق القارئ حتى أصبح يمل الإطالة والبعثرة ويرى الجميل بالشعر أن يكون قطفاً كما يقتطف البلبل الوردة)، ويقول في (موشحته) صفير العسس:

عدنا وعادت حالنا الراكدة
يسألنا التأريخ ما الفائدة؟
خُضنا شؤوناً جمة فلنقم
نفحصها واحدة واحدة
شعبك عن غفلته ما أرعوى يا
سمكاً في كلّ يوم يصادْ
لم يبق في تمرك غير النوى
واكتست الجمرة ثوب الرمادْ
فكم دم طاح ومال شوى
وصيحة قد صعقت في البلادْ
وكم هتفنا وهززنا اللوا ليوم
هول مثل يوم التنادْ

أما في موشحته (نشيد العراق) فيقول:

أريد لحناً إن وقّعوه يقال
هذا اللحن العراقي
أريد صوتاً أن يسمعوه
يقال هذا صوت العراق
هذا المغنّي يريد بوقاً من العراقَ

الى العراق
فيا حماماً يريد طوقاً من العراق الى العراق
يا شعرَ إني أريد جوقاً من العراق الى العراق
أريد طبعاً أريد ذوقاً من العراق الى العراق
أما رباعياته التي اشتهر بها وخاصة (مطوّلته) البلبل السجين فقد اعتمد فيها على الرمزية معللاً ذلك بقوله: (أما ما يشبه الرمزية التي جاءت في نواحي الديوان فقد رغبت في أن تكون في الاتجاه الذي أريده لأنها أقرب تعبير عما في النفس من الكبت ولأنها الصورة الكاملة للحس الباطني الذي أتحسس به فهي التأدية المستطاعة في عصر لم يمارس حرية الكلام تماماً ولم يتعود الصراحة في الرأي) يقول في رباعيته (صور ونوازع):

خليليَّ ماذا يقول العراق إذا قيل بغداده والنجفْ
يموج دماً قلب هذا العقيق لسوقٍ تزاحمه بالخزفْ
أسوق الزخارف والتافهات فيك تعارض سوق التحفْ
مضى زمن التمر يا غارسين نخيلاً وجاء زمان الحشفْ

×××××

أتخضع دولة العقلاء دوماً
لسلطان الغرائز والطباعِ
وهل للناس أغراض بحرب
تؤجج غير أغراض الضباعِ
ميول ضاريات مبهمات
تحفّزنا لدنيا من صراعِ
جنون الفرد يزعجنا ويؤذي
فويل من جنون الاجتماعِ

أما رباعيته الطويلة (البلبل السجين) فقد سجل فيها كل ما عاناه الشاعر في هذه الحياة القاسية وما اتصل بها من آلام وآمال وطوارئ وحوادث فضلاً عن رؤيته نحو الأحداث والانقلابات والحروب والممارسات القمعية للاقطاعيين نحو الطبقة المسحوقة يقول فيها:

أيها البلبل والمعلّق في السجن
سلام لعل جالك حالي
فجناحاك مثل قلبي يا بلبل
قد رفرفا لضيق المجالِ
لعب التافه الرخيص من الناس
مع الدهر بالنفيس الغالي
وإذا الورد في الحوانيت والطير
وراء الأبواب والأقفالِ

×××××

أيها البلبل المعلّق في السجن
سلام عليك في السجناءِ
ما دهتك الأعداء بالسجن
يا بلبل لكن سجنت للأصدقاءِ
إنني دائماً أراك وحيداً بلبلي
هل عرفت عقم الاخاءِ
لم تغرد في السجن كي
تطرب القوم ولكن غرّدت للإزدراء
أما في ثنائياته أو (مزدوجاته) فقد أطلق صرخة ناقدة للوضع السياسي آنذاك كما لم تخلُ من موعظة وحكمة يقول فيها:

عازفاً فوق كومة من جماجمْ
باليات من أقدم الأحقابِ
باحثاً في رفاتها المتراكْ
عن رؤوس الأعيانِ والنوّابِ

×××××

ليته حلّ ساعة الانعقاد
برلمان يضيّعُ الناخبينا
باحث عن مكافحات الجراد
ونريد بليّة الزارعينا

انفرد الشرقي في شعره مظهر بارز من بين معاصريه وهو لغته واسلوبه في معالجة الشعر فقد كان يستعمل الرمز والايحاء والأمثال القديمة والحديثة والتشبيهات والاستعارات والكنايات والأخيلة المتنوعة ليبتعد عن الإسلوب التقريري المباشر ولم يبتعد في لغته عن استخدام كثير من المفردات الشائعة في بيئته ولكنه كان يستخدمها بأداء سمح طيع ينسجم مع تلك المعاني والصور والأخيلة.

ولم يقتصر الشرقي في أدبه على الشعر فقد خاض ميدان النثر وقد عدّه البعض من كبار الكتاب في الوطن العربي وقد كتب في مواضيع تأريخية واجتماعية وسياسية وأدبية وقد نشر معظمها في الصحف والمجلات ومن آثاره الأدبية فضلاً عن ديوانه:

١- ديوان السيد ابراهيم الطباطبائي – تعليق ونشر – عام ١٩١٤.
٢- في ذكرى السعدون عام ١٩٢٩.
٣- الأحلام – مذكرات – عام ١٩٦٣.
٤- العرب والعراق – في التاريخ – عام ١٩٦٣.
٥- الألواح التاريخية – دراسات وبحوث متفرقة.
٦- الكتاب الصغير – مجموعة مقالات نشرت في مجلة العرفان ١٩١٢.
٧- بيت الأمة – مجموعة مقالات عامة.
٨- الإمام النائيني – في ذكراه – نشرت في جريدة البلاد عام ١٩٣٥.
٩- عبد الحسين الأزري في ذكراه – مقالة أدبية تحليلية ١٩٥٦.

وغيرها من المقالات والبحوث والدراسات الكثيرة.

هذه أهم الجوانب الأدبية في حياة شاعرنا علي الشرقي وهناك جانب آخر مشرق في حياته وهو الجانب الجهادي ضد الاحتلال الانكليزي نكتفي بمقتطفات منه خشية الإطالة فقد واكب شاعرنا مسيرة الجهاد ضد الاحتلال الانكليزي والتي قادها العلماء والعشائر من النجف الى الناصرية فالبصرة عام ١٩١٥ م وقد رافق المجاهد الشاعر السيد محمد سعيد الحبوبي خلال مسيرة الجهاد وكان مبعوثه المفضل الى عشائر الغراف بما كان لأسرته من مكانة علمية وأدبية هناك ليحثهم على محاربة الانكليز.

– رشح الى عضوية مجلس النواب عن لواء المنتفك (ذي قار) عام ١٩٢٧.
– عيّن عضواً في مجلس التمييز الشرعي الجعفري عام ١٩٢٧ فآثر الاستيطان في بغداد حيث مقر وظيفته.
– مارس القضاء الشرعي عام ١٩٣٣ مدة ستة أشهر.
– اختير رئيساً لمجلس التمييز الشرعي الجعفري عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٧.
– عين عضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٤٧.
– أستوزر أكثر من مرة (وزيراً للدولة) منذ عام ١٩٥٣.
– لم ينقطع شاعرنا عن نظم الشعر حتى في شيخوخته.
– توفي يوم الثلاثاء ٣ ربيع الثاني عام ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٤/٨/١١.

الشرقي.. بين القضاء والسياسة

ع ميرٍ بصري

كان علي الشرقي رجل قضاء و رجل سياسة ، لكنه لم يكن طوال حياته الا شاعراً بالفطرة تطبع بالمظاهر الدينية والدنيوية، فتغلب عليه الشعر في احرج مواقفه واشدها قسوة وغلظة وانقاد لزمام العاطفة في مقام الجد والصرامة .

ولقد نشر طائفة من شعره في ديوانه الموسوم ب (عواطف وعواصف) فاهدى الي نسخة وشحها بالكلمات الاتية :

(اذا جاز ان تحمل الفاكهة الى بستانها فاني احمل اليكم هذا الاثر ، مع اخلاص الشاعر).

وكتبت اليه برسالة جاء فيها :

(اما الشعر فسحر وعطر. وهو شعر نابض بالحياة ، صادق اللهجة ،واضح السمات، ينطق بلسان البلد والجيل ، ويحمل طابع العصر ورسالته. وقد مر زمان كان في مقياسه اعذب الشعر اكذبه ، اما اليوم فخير الشعر ماعبر عن الام الشعب وامالة ومشاعر الامه في طموحها وتحفزها.

وخير الشعب ماافصح عن حب المغرم وبهجة الخلي وحسرة الشجي وامل الشباب وذكريات الشيخوخة وجميع مايهز اوتار القلب البشري من نوازع ولواعج.

(ولقد وفقتم لترديد نواح البلبل السجين وصداح البلبل الطليق ، ولوعة الفلاح في كوخه، وترجمتم عن نزعات الشعب المتطلع الى الحياة والحرية، ودعوتم الى الالفة والاخاء ، واشدتم بالنهضة والاصلاح ، فجاء ديوانكم سجلاً حافلاً للحياة العراقية في النصف الاول من المائة العشرين...)

اجل ان في شعر الشرقي كل ذلك واكثر من كل ذلك. وشعر الشرقي قبل كل شيء شعر الشعب ، فهو يفصح عن اماني الفقراء والكادحين ويعبر عن مشاعرهم ونزعاتهم ، وهو يأنس الى الارياف وفلاحيها ويحن الى مرابعها واكواخها، ولاسيما الى نواحي الغراف التي قضي فيها شطراً من صدر شبابه ، وقال في ذكرها :

زهور القصور ونزهة الارياف
غرف مطلات على الغراف
تلقى الحضارة والبداوة عندها
بازاء فرع او بجنب طراف

ولا يأنف الشرقي ان يضمن شعره كلمات ابناء الشعب وامثالهم وحكاياتهم. ولعل هذا الشعر لايتسم بجزالة اللفظ ومتانة التركيب لكنه يفيض بالاصالة والاخلاص وصدق اللهجة وطيبة النفس وحب البشرية والناس ،تقطر منه انداء اللطف والعطف والحنان كالعبرات الباردة التي تسكبها المآقي الحزينة .

لقد تمنى لو تمطر السماء مروءة وحناناً ، و روعته دمهة المظلوم ، فقال :

مد زعيم لطبيب يداً
كانت على رغمي ملثومة
فقال له : ليس بها من اذى
فصاح :لا..كفي محمومة

وعلي الشرقي شاعر الاسى والالم : فقد اباه طفلاً ، وذاق مرارة اليتم والحاجة حتى اذا ماابتسم له بعد لاي الزمان ومنحه السعادة والامن واتاح له الحب والزواج ، فأجاه بموت عروسه في ليلة الزفاف . فاذا بالشموع التي اعدت لموكب العروس قد اسرجت بموكب الموت . واذا بالشاعر قد اخرسه هول المصاب حيناً ثم انطقه شعراً مؤسياً حزيناً:

شمعة العرس ، ماجدت التأسي
انت مشبوبة ويطفأ عرسي
انت مثلي مشعولة القلب ، ولكن
من سناك المشؤوم ظلمة نفسي

ان العروس الشابة التي قضت نحبها ليلة الزفاف لتذكرنا بقصيدة الشاعر الفرنسي اندره شنيية (١٧٦٢-١٧٩٤)، تلك القصيدة التي قالها في رثاء (ميرتو) التارنتية الفتاة الحسناء التي ركبت السفينة لتلحق بخطيبها حيث تنتظرها السعادة والاغاني والزواج .

وقفت وحيدة تحدق في الامواج المتلاطمة، فهبت ريح هوجاء نفخت الشراع واطاحت بالفتاة في حضن المياه المزبدة . لقد تلقت الاعماق جسدها الجميل ، فخرجت اليه ربة البحر دامعة العين من كهفها السحيق ، وحفظت جسمها من انياب الوحوش الضارية ، وامرت قيان الماء فاخذها الى الساحل واستدعين غيد المروج والمنابع والجبال ، فأقمن لها مناحة لم تشهد الارض مثلها . وقلن لها نادبات : (اسفاص عليك ، ايتها العروس ، لم تبلغي دار الحبيب ولم ترتدي ثياب العرس ، وحلى الذهب لم تحط بساعدك البض ، ولم يزين اكليل الزفاف شعرك المنسدل على كتفيك).

عن كتاب اعلام الادب العراقي للراحل مير بصري

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

الشرقي خلف الملك فيصل الثاني

علي الشرقي بين الحياة والموت

خلدون جاويد

منذ الهيولى – المادة الاولى – ، تترافق نظرتان متقاطعتان في تناول سره ، فهو موجود بطبيعته بلا علة وفي حركة ضاربة في الأزل ! أو انه لم يكن فوجد بقوة وفعل الواجد ، والواجد مطلق القدمية مادام لكل بدء بادئ .

ولدى الشاعر المتأمل في سير الحياة هاجس شاعري– فكري يقول بأنه ككائن ، في حالة متصلة بمراحل التحولات الحركية ، فعدا المولد وحقبة الحياة فان الموت ايضا جزء من سير الحركة ! انه حالة سكونية بين حركتين كلُحَيْظة التوقف بين شهيق وزفير ، وبذا فهو مَعْبرٌ الى مابعده ! ينعم فيه الكائن بعالم له طبيعة خاصة من الحركة والمعايشة . وان تتصل هذه الحياة بتلك فهذا ادعى الى انقاذ الديالكتيك من انطفائه عند ساحة الدنيا بل والامتداد به الى فاعليته في ميكانيزم لامتناه .

كل هذا هو دردشة على هامش المحسوس لدى الشعراء والفلاسفة وكل الشاعرين بغرابة الحياة وسرها وجوهرها ، وهذا لايلفت انتباه الذين يأتون الى الدنيا ويذهبون بدم بارد لاينبسون بسؤآل واحد عن هذا الكوكب الغريب والكائن الاغرب: الانسان. انهم في جملة اعتراضية ، منشغلون بمائدة الحياة ودسمها !.

وكما يقول اوسكار وايلد : "اللذة للجسد الجميل والألم للروح الجميلة " ، فان الالتياع للذهن الأديب والأريب . وأكثر الناس عذابا بحمل هذه الصلبان هو الشاعر الفيلسوف .

في قصيدة بعنوان (عجز وقدرة) للشاعر علي الشرقي ، يتناول فيها هاجس التحول من حالة معينة الى اخرى فهو المتكون بايالوجيا في نشأة اولى قبل ولادته ، وهو الذي عاش لفترة ما في الحياة ، وهو الذي سيموت في مدى زمني معين ، ومن بعدها يؤول الى (نشأة اخرى ونشره) ...

طيبت نفسي بالقليل
وان كحل العين ذره
والدهر حلوٌ كله
لكن نفس الحرّ مره
كم حسرةٍ في صدره
ياساعد الرحمن صدره
كذب التظاهر كفتا
ميزاننا عجزٌ وقدره
يانادبين تمهلوا
كم تندبون ثرى وصخره
للنفس سيرٌ دائبٌ
بحياتها والموت فتره
لي نشأة مابين تسعة
أشهرٍ مرت وعشره
كانت حياتي وانقضت
لم ادرِ عالمها وذكره
وكذا حياتي هذه
بعد السنين المستمره
تطوى واصبح بعدها
في نشأة اخرى ونشره
ميلادنا ومماتنا
ونشورنا أنواع طفره
فهناك اذن سير للنفس وتحولات للأجساد عبر الزمن تناولها الكثير من الشعراء والفلاسفة وسواهم بالشعر مرة والتحليل العلمي مرة اخرى ، وابدع بعضهم في الخيال الشعري ازاء تلك التحولات . صحيح ان المشهد غباري وتوابيتي ! الاّ ان بعض الشعراء تخيلوا استحالة تراب جسد ما الى أكواز وجرار ، او ان زهرة على شاطئ قد كانت ذات يوم شفة لعذراء ! اما ايليا ابو ماضي فقد اتسع خياله ليجعل من الغبار ملحمة للشعور . يكتب زهير ميرزا مقدمة توضيحية لقصيدة موكب التراب ووصفا للشاعر ايليا ابو ماضي وكيف اثارت رياح مغبرة الهاماً : " في يوم من أيام الصيف الشديد الحر كان الشاعر جالسا مع بعض اصحاب له امام داره فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرادق ، وكان في مشهد الغبار ماحمله على التفكير فنظم قصيدة موكب التراب :

من أين جئت ؟ وكيف عجت ببابي
ياموكب الاجيال والاحقاب
أمن القبور ؟ فكيف من حلوا بها
أهناك ذو ألمٍ وذو تطرابِ
ولهم صباباتٍ لنا ؟ أم غودروا
في بلقعٍ مافيه غير خرابِ ؟
.....
أمررت بالاعشاب في تلك الربى
وذكرت أنك كنت في الاعشابِ
حول الصخور النائمات على الثرى
وعلى حواشي الجدول النسابِ
وعلام تصعد كالسحابة في الفضا
والى التراب مصير كل سحابِ
لما طلعت على الشعاع موزعا
مترجرجا كخواطر المرتابِ
وذهبت في عرض الفضاء كخيمة
رفعت بلا عمدٍ ولا اطنابِ

وهنا يمتزج الرومانس المتخيل من ان زهرة ما كانت شفة ذات يوم ، بالواقعية السحرية اذ ان تربة كان من مكوناتها جسد أو اجساد ، قد مرّ عليها السحاب فغدا كائنا ذا ساق وتويج وأوراق . والساحر غير المنظور للمتأمل أن حركة الاختفاء والظهور والزوال والوجود والعدم والولادة انما هو لوحة تتحرك فيها الألوان والالتماعات والملامح والرموز لتشهد على الجمال في حالة تعشق وانفكاك ، في موشور التماع وتعتيم ، ضوء وظلال ، ابتسام دامع ، ودموع فرح . ان الكون قطعة شعر ساحرة . وان الشاعر ايليا ليجنح في التصوير الغريب الى الجميل الى رؤى تعجز عن تخيلها

ثاكل ! . فالثاكل لاترى الاّ فقيدها أما الشاعر الأريب فيرى جدلا فجائعيا ! (تتمة القصيدة):

قال الصحاب ليَ استتر، وتراكضوا
للذعر يعتصمون بالأبوابِ
وهب اتقيتك بالحجاب فانني
لابد خالعه وانت حجابي
كم سارحٍ في غابةٍ عند الضحى
جاء المساء فكان بعض الغابِ
ومصفقٍ للخمر في أكوابه
طرباً ، وطيف الموت في الأكوابِ
انا لو رأيت بك القذى ، محض القذى ،
لسترت وجهي عنك مثل صحابي
.....
ان زاوية الرؤية هي التي تجترح المعاني وهي التي ترى من عين نوعية . ان عين الشاعر هي ليست العين المفسرة للظواهر المناخية في نشرة الانباء ولاهي الشاعرة بما يشعر به الصحب المعتصمون بالأبواب . ان النسبي يفرز التمايز بالحس والرؤية والموقف ، فما هو شر لعمرو هو خير لزيد . وما هو امتعاض واستنفار للصحب هو شعر ممتزج بالفلسفة . وان الفلسفة هنا ليست فقط ام العلوم تبدأ من اصطلاحات وتنتهي بالرموز الرياضية ، حلبة تناحر في الرأي والمواقف بين فكرتين او معسكرين مادي ومثالي او انها نظرة عاقلة تبحث عن الحقيقة بل انها ايضاً ، هنا وعلى يد الابداع ، ومضات الادراك الشاعري الثاقب والمتفحص في روح الاشياء والموغل في بريق رؤيوي يلامس الروح والعقل باشراقات فنانة رفيعة النظر تسبغ على الفلسفة رونقا لها ومتنفسا من مرارة روحها .

ان الفلسفة تذرف دموعها على يد الشعر! :

لكن شهدت شبيبة وكهولةً
ومنى ، وأحلاماً بغير حسابِ
والشاربين بكل كأسٍ ، والألى

كل هذا هو دردشة على هامش المحسوس لدى الشعراء والفلاسفة وكل الشاعرين بغرابة الحياة وسرها وجوهرها ، وهذا لايلفت انتباه الذين يأتون الى الدنيا ويذهبون بدم بارد لاينبسون بسؤآل واحد عن هذا الكوكب الغريب والكائن الاغرب: الانسان. انهم في جملة اعتراضية ، منشغلون بمائدة الحياة ودسمها !.وكما يقول اوسكار وايلد : «اللذة للجسد الجميل والألم للروح الجميلة « ، فان الالتياع للذهن الأديب والأريب . وأكثر الناس عذابا بحمل هذه الصلبان هو الشاعر الفيلسوف .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

عاشوا على ظمأ لكل شرابِ
والضاربين بكل سيف في الوغى
والخانعين لكل ذي قرضابِ
والصارفين العمر في سوق الهوى
والصارفين العمر في المحرابِ
والغيد بين جميلةٍ ودميمة
والعاشقين ، الصب والمتصابي
والعبد في أغلاله وحباله
والملك في الديباج والأطيابِ
آبوا جميعا في طريقٍ واحد
الخاسر المسبي مثل السابي

اذن لقد رأى الشاعر البشرية في بانوراما عريضة ، وحزن عليها لما آلت اليه من تساوي افعال من عاش . السابي والمسبي اتحدا في غبار هائج من القرون السحيقة الماضية . وكذلك جميع الأضداد في الحياة قد تركزت في بؤرة الموت . وهنا لعله يريد ان يقول في عظة وعبرة بأن على المتجبر ان ينبذ عسف الجبابرة وعلى الملك ان يرى ان الديباج والصولجان والرخام والملك كله زائل . وان الموغل في تطرفه او في لون واحد وحيد من اختياراته والذي شقى وقارع من اجل نيله لامصير له الاّ التراب ويبقى السيف صدئا ومرميا هناك بل كل المباهج ، وحتى الأحزان ! لقد تساوى كل شيء في الفناء وتماما كما قال الشاعر الحكيم المتنبي : " وكل الذي فوق التراب ترابُ ". وهذا مايعبر عنه ايليا ابو ماضي في خاتمة قصيدته :

فضحكتُ من حرصي على ملك الصبا
وعجبت كيف مضى عليه شبابي
ووقعت انت على تراب ضاحك
لما وقعت عليّ في جلبابي
وكذاك اشواق التراب مآلها
ولئن تقادم عهدها لترابِ

واذا تتصل هواجس الشعراء ببعضها وتتوارد خواطرهم نرى ان حرص ايليا ابو ماضي على العمر يتشابه مع حب ابراهيم طوقان وتعلقه بالحياة الاّ ان النفاد بالمرصاد ، ولاخلود لانسان وان نجا من مرض او اذى او مصيبة فلا منجى من الموت . ان مغادرة الحياة قدر مكتوب وعين الانسان هي الراقدة ابديا . وادناه نورد قصيدة سر الخلود في رثاء سعد زغلول .

لي في الحياة تعلقٌ وتشددُ
والعمر مابعد المدى فسينفدُ
نفسٌ اردده واعلمُ انه
للموت بين جوانحي يتردد
ويلمُ بي ألمٌ اخاتله بما
يصف الطبيبُ فيستكين ويخمدُ
ويسرني أني نجوتُ من الأذى
ويْلي كأني ان نجوتُ مخلّدُ
وكأنني ضللتُ سير منيتي
ان الطريق الى الفناء معبّدُ
هيهات لست بخادعٍ عين الردى
عينُ الردى يقظى وعينك ترقدُ

وهنا أيضا ، وكما أسفرت القصيدتان عن سر تعلق الشاعرين ايليا ابو ماضي وابراهيم طوقان بالحياة ، يفعل قانون جمع النقيضين فعله ، اذ على الرغم من دراية الانسان بمصيره الأيل الى الردى فان حب الحياة هو الطرف الآخر الذي يوازن مابين هذين القطبين . فالحب هنا هو القيمة الأروع لتطوير المعاني السامية باتجاه الجمال وتخفيف الأثقال وذلك بالإسهام النبيل في ترقية الحياة وتنقية صفوها ومدها بأقصى الامكانيات المتاحة للبهجة والانتعاش ، ولا اروع من النتيجة الباهية التي توصل اليها ذات الشاعر (ايليا ابو ماضي) ، لو عقدنا المقارنة هنا مع قصيدة (ان الحياة قصيدة) والتي جاء في خاتمتها:

متّعْ لحاظك في النجوم وحسنها
فلسوف تمضي والكواكب باقية .

أو الذروة الشاهقة التي راح يرودها مولانا جلال الدين الرومي وهو في حومة الطرب الصوفي :

أحاط السيل بخراب العمر
وبدأ كأس العمر بالامتلاء
كن سعيدا لأنه في طرفة عينٍ وقد ذهب
حمال الدهر بالبضاعة من منزل العمر .

نعم، حقا حقا مايقوله الشعر الفلسفي، كن سعيدا! لو بقي لنا أمل بوميض من سعادة نحن العراقيين.

غلاف اول كتبه

قصيدة السيف والقلم

علي الشرقي

هذب يراعك وانصر دولة القلم
واحمل على الدهر في جند من الكلم
السيف يثلم إن طال القراع به
وفي اليراعة سيف غير منثلم
لم يقسم الله بالذكر المبين به
وإنما شرف الأقلام بالقسم
لا يصلح السيف إلا للقراع–وذا
للعلم، للفضل، للآداب، للنعم
إن أصبحت أمة بالسيف بائدة
إن اليراعة تحيي سالف الأمم
ما علم الله إنسانا بصارمة
وإنما علم الإنسان بالقلم
إن أصبح السيف يروي عن يد خبراً
فذو اليراعة يروي عن يد وفم
تستغمد الصارم المسلول مقلته
طوعا بجري مداد لا بجري دم
كم نغمة لك في الأقلام قائلة
إن الحسام المحلى آية النغم
كان للسف حكم في الوغى فلها
في السلم رائعة الأحكام والحكم
إن اليراع ليسعى طوع أنملنا
سعيا على الرأس لا سعيا على القدم

عن ديوان علي الشرقي الصادر
عن وزارة ا لثقافة ١٩٧٩

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2485)
السنة التاسعة
الخميس (17)
أيار 2012

علي الشرقي
ومغامرة التحول التي لم تتم

خالد محي الدين البرادعي

المصادر التي أرخت مولده وترجمت حياته، أوردت تاريخين لمولده أحدهما ١٨٩٠ وثانيهما ١٨٩٤. وأي رقم منهما كان صحيحاً لا يخرج عن تصورنا للغز الذي انتصب في أواخر القرن التاسع عشر×. ونفخ سره أو نثُ سحره في هذا الجيل الغاضب الواعي الذي رسخ مفهوم القومية في الإبداع، ونفح الحس القومي في القصيد.

علي الشرقي ولد في النجف وبتلك المدينة ذات التقاليد الدينية والجو الروحاني نما وترعرع، تثقف أولاً على علمائها وشيوخها التقليديين. وهو ابن خال محمد مهدي الجواهري، وربما ضمهما بيت واحد بما فيه من إرث ديني وثقافي.

لكن الشرقي على ما يبدو أحس بنفور شديد من تتابع التقليد والنمطية والافتقار إلى روح التجديد في شعر تلك المرحلة. وعبر عن هذا النفور بكتابات نثرية، حاول أن يترجمها شعراً، وهذا ما سنبحثه خلال الحديث عن فنيته. ولم يكتف بالتطور التدريجي أو الانتقال المرحلي من الالتصاق بالقديم حتى زمن التفرد وفردانية البصمة كما فعل ابن عمته الجواهري. إنما أراد أن يحقق القفزة النوعية منذ البدء. فلم تسعفه قدماه. وارتمى في المكان الموازي لشعر التقليد والنسخ السطحي للقديم. بيد أن المكان الذي وقع فيه جديد تماماً رغم ضيق مساحته.

ومنذ شبابه الباكر وضع يديه الاثنتين على نقاط الضعف في شعر عصره. شعر القرن التاسع عشر بالطبع واستطاع أن يترجم تمرده على طريقة النظم تلك وإن كان هذا التمرد محصوراً ضمن تجويد القصيدة الاتباعية بالذات. ومرهوناً بالتطور السياسي والنضالي للأمة العربية: (فما أمس الحاجة وما أعوز البلاد إلى شاعر يتقدم الصفوف، ويكهرب العواطف، فيقود الأمة نافذاً من شارع الإخلاص إلى رحبة الحرية حيث تبني صرحها الجديد، وها قد تطلعت في الآفاق العربية كواكب الشعر، ولكن القمر بعد لم يبزغ، والنهضة الفكرية المالئة كل نواحي الشرق محتاجة إلى أمير من أمراء الشعر يصلح أن نسميه شاعر النهضة العربية في القرن العشرين)، ويرصد الشرقي حالة الشعر كما انتهى إليها وكما رآها هو بالذات. وفي العراق خاصة (فلم تكن في الأدب جدة، ولم يكن للكلام روح، وكان الذي يغشى تلك النوادي التي نوهنا عنها لا يحسب إلا أنه غشي نادي أبي تمام والبحتري والشريف الرضي وأبي عثمان الجاحظ وأبي زيد والحريري وأبي نواس والبديع، لأنه يرى أرواحهم ترفرف في تلك النوادي ويرى أشباح شيوخ الأدب العباسي مالئة تلك المحافل، لم تطو القرون الطويلة شيئاً من جدتهم لأن تلك القرون كانت قرون فترة جامدة خامدة لم يتجدد فيها صوت ولا نبرة وبقي صدى الأصوات الأولى يرن على جدرانها).

هذا قراره حول فترة الانحطاط التي امتدت على طول قرون التعجيم والتتريك إلى أن جاء الجواهري واعتبره انقلاباً وتجديداً ودفعاً للشعر إلى الأمام. وترجم فيما بعد تطلعه ورؤيته للشعر الذي يراه (شظايا قلب الشاعر، إذا كان قلبه مملوءاً غراماً وشوقاً أفرغ شيئاً ليستريح وإذا حماساً وفخراً تنفس شعراً ليحرق الناس بناره)، ويرى (أن الشعر يفيض ولا يستنبط) وإذا كان يطلب من الشاعر أن يقرأ القديم بوعي، ويتقن جوهريات اللغة، وارتياد السهل. فلكي لا يقع في غريب قحط وجاف يبعده عن الآخرين. ويلح علي الشرقي على قضية التجديد. خاصة وأنه عاصر مدرسة الديوان في مصر. وشعر المهاجرين العرب. وقرأ الشعر الفارسي بوعي. وتلقف خيوطاً من ضوء الفن الرومانسي المنتشر من أوروبا.

لكن إلى أي مدى وصل الشرقي في دعوته، عندما أرادت موهبته الشعرية أن تمنحه مبدعاً لا منظراً؟ وما هو المدى الذي قطعه في فهم البعد القومي وترسيخ هذا الحس في شعره؟

وهل استطاع فعلاً أن يتميز عن أقرانه شعراء الشام والجواهري قريبه والأصغر منه سناً؟ وهل يقنعنا شعر الشرقي بضرورة اختياره واحداً من المبشرين الخالدين الذين نقف الآن ونحن في حلبة الامتحان القومي بعد فكره المنظم؟ ثم ننحني احتراماً لهم كسابقين مبشرين فاضت رؤاهم على لحظات تاريخهم الزمنية؟.علي الشرقي. فرضت عليه ظروف حياته الأولى من حيث يتمه. وتمضيته جزءاً من شبابه بين أفراد أسرة الجواهري خاله. وموت أحد مرشديه وأساتذته. نوعاً من العزلة والخجل والانطواء مما حدا ببعض الدارسين اعتبارها سمة من سمات الرومانسيين خاصة. لكن شاعرنا غادر هذا الانطواء منذ اصبح جندياً في الجيش العثماني قبل الحرب العالمية الأولى. وسرعان ما يأنف خدمة جيش محتل. ربما بلحظات وعي حادة ليترك جيش الأتراك ويلتحق مجاهداً بصفوف المناضلين العراقيين ضد الاحتلال الإنكليزي جنوبي العراق. تحت قيادة المجاهد محمد سعيد الحبوبي. ويقع في سويداء قلب قائده. فيكلفه بمهمات عسكرية في منطقة أواسط الفرات. وبعد أن فشلت هذه الانتفاضة على الاحتلال تحول الشرقي إلى داعية لثورة العراق التالية ثورة العشرين.

ويصاب بخيبة الأمل الكبرى عندما تفشل هذه الثورة لكنه ظل المبشر الواعي والمؤمن الأمين بانتصار ثورة عربية شاملة تعيد للعرب مجدهم الغابر. ويكتب عدداً من القصائد منها (ذكرى الثورة) هي التي تبناها بلون خاص من التوجه القومي والثوري. قد يبتعد قليلاً أو كثيراً عن الأنماط الشعرية المألوفة آنذاك بثوريتها وحرارتها وتوجهها المباشر كما هي لدى الجواهري مثلاً. يقول الشرقي:

(ألورد ألوان فقل لرياضنا:
لا تنبتي إلا بأحمر قاني
ذكرى الشباب وهل يجدد ذكرهم
لروض غير شقائق النعمان
رقدوا وأعلام البلاد تلفهم
كالورد في الأكمام لا الأكفان)

هو الآن في مرحلة نضجه الشعري. خرج من مرحلة التجريب والتقليد. وواجه نظرياته السابقة عن الشعر. وأول ما نراه في هذا النمط من الأداء. هو استغلال جيد للأثر النفسي باللون. والابتعاد عن الخطابية المباشرة التي كانت سمة شعر عصره. ونحن في هذا وذاك نشم رائحة الورد تعبق بنكهة الشهادة. وتصادفنا التشبيهات الجديدة والمقارنة بين الأكمام والأكفان. والدم وشقائق النعمان.

ويتقدم الشرقي في سنوات قصيرة ليقترن بامرأة يظن شيئاً من الراحة في عهدها. فتعاجلها المنية قبل الزواج بساعات. ويختطفها المنون من ساعديه. ليضاف حزن إلى حزنه وخيبة وجدانية إلى خيبته السياسية. والحزن يفعل في الشعر ما يفعله الغيث في التربة الظمآى. ليقدم قصيدته الرائعة (شمعة العرس) ويستودعها أحزانه الممزوجة من كل خيبة. وتفوح منها رائحة الحزن السياسي إلى جانب الخيبة الثورية. إلى جانب ذاته هو. التي تفطرت دماً ساخناً في كل صورة فيها. وإذا كان الأسى يبعث الأسى كما قال متمم بن نويرة في أخيه مالك. فالشرقي يرى معه تماماً ما يراه كله (قبر مالك) أو مدفن حلمه القومي الكبير في فشل عدد من الثورات العربية المتلاحقة والتي حاصرها الاستعمار العالمي فأرداها من ثورة الحسين بن علي. إلى الثورة المصرية. إلى ثورة العراق. ثم الثورة السورية فيما بعد فتصور أن كل أحزان الوطن العربي راقدة أمامه على شمعة عرسه الثُكلى تندب حظها معه:

(شمعة العرس ما أجدت التأسّي
أنت مشبوبة ويطفأ عرسي)

هذا المفتتح. والقصيدة مكتوبة عام ١٩٢١ بعد الثورة مباشرة وهو معبأ بالحزن والحلم والتطلع والخيبة معاً:

(كان حدسي يذكو الأماني شموعاً
والليالي خيُّين ظني وحدسي
كنجوم تكدرت فتهاوت
من سماء إلى حظيرة قدس
أبدلوها عن المنصة نعشاً
هو عقبى لكل عرش وكرسي)

لو عزلنا القصيدة عن المناسبة لاستطعنا أن نجد فيها ترميزاً كاملاً لثورة شارك الشاعر فيها وشاءت لها الظروف أن تدفن رأسها في تراب العراق زمناً آخر. لكننا لا نريد تحميل القصيدة أكثر من قامتها وما تحتمل. لكننا بالتأكيد واضعون يدنا على صورة للشعر القومي في غير قنواته المألوفة خاصة عندما نقرأ لهذا الشاعر قصائد قليلة جداً تنتمي إلى الشعر السياسي. ونراها بعيدة عن فنيته في الشعر لندرك أن علي الشرقي قد اكتشف موهبته في الشعر القومي بعيداً عن هذا التيار المألوف. وإذا نحن واجدون بشعره شقاً عريضاً من الناحية الفنية بين قصيدته السياسية المباشرة وقصيدته التصويرية ذات الرموز الشفافة والأثر النفسي العميق. هو الفرق القائم بين قصيدتيه مثلاً: كوخ الفلاح. و: شمعة العرس. وبين: قصر الإقطاعي. و: وادي النجف. مجرد مثالين لإظهار الفروق الفنية بين الشعر السياسي أو التحريضي المباشر والشعر الذي شاءه أن يكون ترجمة لنظرية طرحها في مطلع شبابه عن الشعر وتجديده، لنسمع نموذجين له.

الأول ينتمي إلى الخطابية السياسية المباشرة:

(مضى كل قطر بحاجاته
وحاجة قطري شعب يسود
مصيبتنا إذ يسود الذكي
ومحنتنا إذ يسود البليد)

النموذج الثاني وينتمي إلى شعره التصويري والرمزي:

(أيها البلبل المعلق في السجن
سلام من روضك المهجورِ
لا رواء ولا ابتهاج لروضٍ
ليس فيه انتفاضة للطيورِ)

في الأول هو نظّام لم يستطع مغادرة المفردات الميتة. وفي الثاني هو شاعر يتموج في حالة نفسية سكبها على الطائر الجميل الذي نجح في إقامة حوار محزن مفرح معه.

لماذا لا نقول إذن أن الشرقي أولى اهتمامه

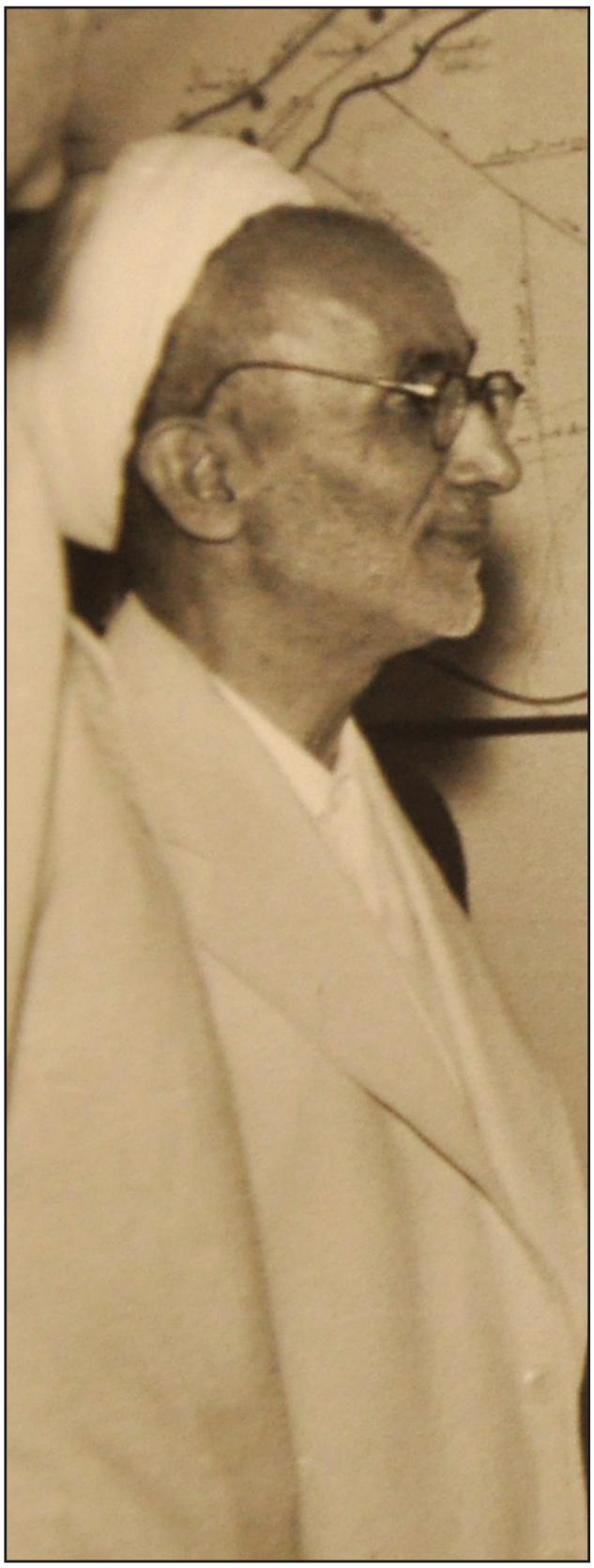

الأكبر تهذيب القصيدة السياسية بإلباسها ثوباً أكثر شفافية من ثوبها الباهت الذي اعتمده قليلاً في قصائده. وإذا وصلنا إلى هذه القناعة من اكتشاف رؤيا الشرقي وتصوره. وأنه أراد أن يخط للقصيدة السياسية درباً جديداً ويرسم لها مداراً فنياً خاصاً يترجم جزءاً من طروحاته في التغيير والتجديد، نستطيع مرافقة بعض قصائده والتعامل معها وطنيا وثورياً لا كما حلا للبعض أن يحصرها في إطار الهموم الفردية والذاتية للشاعر.

ربما قال قائل : لكن لتطمئن قلوبنا بالنزوع الوطني لعلي الشرقي قدَّم لنا نموذجاً واضحاً. حتى نمضي معك ونحن على اطمئنان. نقول حسناً إليك هذا المقطع من قصيدته : دمشق:

(دمشق إليك بثَّةُ مستشيط
وما باليت ، تكتم أو تشيعُ
شعارك يا دمشق فكل رهط
أضاع شعار أمته يضيعُ
هنا القومية اعتصمت وآتت
أصول للعروبة أو فروعُ
كما يجلو الربيع الورد غضاً
جلت أمجادنا هذي الربوعُ)

هذا الغناء المترف على مباشرته وبساطته هو الذي يدفعنا إلى الإيمان المطلق بالنزوع القومي لدى علي الشرقي. وبان الصور الفنية التي ابتعدت عن المباشرة. وحملت شجونه وشؤونه هي صور لترسيخ هذا النزوع. منذ نهوض جيل التبشير. الذي نستطيع بعد القناعة أن نضم صوت الشاعر الشرقي إلى قيثارته العذبة.

لعلنا تجاوزنا في التدليل حالة المسيرة الزمنية لعلي الشرقي لنثبت رأياً طرحناه منذ البداية حول رغبته في التجديد. وإذا عدنا إلى قصيدته الشهيرة قفص البلبل والتي كتبها في سن مبكرة هي بالتحديد عام ١٩١٠ وقرأناها بأناة، تبين لنا النتائج التي خرجنا بها. أن صاحبنا ضرب صفحاً عن التوجيه والتحريض السياسي المباشر واعتمد الرمز في هذا المجال. خاصة وأن الطغيان التركي كان يعالج الفكر الداعي إلى التحرر،. بحبال المشانق وقطع الألسنة.

بدأت هذه القصيدة الطويلة بمقطع اتباعي طويل ثم أضاف إليه رباعيات كثيرة متنوعة. بعد أن أقام حواراً طريفاً ومؤثراً مع الطائر الجميل. السجين. الذي نستطيع اعتباره (الإنسان العربي في حالة حصاره) وهجم في هذه القصيدة بأسلوبه الرمزي الشفاف وصوره المباشرة حيناً والغامضة حيناً على ركود العرب وعلى التقاليد البالية التي قبرها في منطقة النجف أولاً.

ولا نرجم بالغيب أو ندع أنفسنا تستجلي من القصيدة ما نريده نحن في بدايتها يعلن هو ذلك واضحاً:

(وما بلد ضمني سجنه
ولكنه قفص البلبلِ
ترفُّ جناحاه لم يستطع
مطاراً فيفحص بالأرجلِ
لقد أقفلوا باب آماله
فحام على بابه المقفلِ)

وبعد أن يطمئن الشرقي إلى الإيهام. والتمازج الفني بين حالته (العربي) وحالة السجين (البلبل) ينهض من وراء شفافيته بعد أبيات ظل متستراً فيها بصورة المستمد من حالة البلبل السجين. ليصارح متلقيّه بما يريد. وليحرض هذا المتلقي على رفع يد الاحتجاج إلى أعلى. ويحرضه على نزع دثار الصمت والركود ليثور ويخلق عصره،. ويحقق وجوده بفعله هو لا بفعل وتقدير الآخرين:

(سأملأ جيلي الذي عشت فيه
حنيناً إلى جيلك المقبلِ
لقد كنت مثلك ياسانحات
أروح وأغدو على المنهلِ
فلا تأمني أن أمَّ السلام
عقيم إلى الآن لم تحبلِ
فيهيهات هيهات يخلو الزمان
فإما معاوية أو علي)

خرج في هذه المقطوعة من حالة البلبل السجين إلى حالة الإنسان السجين. وأثبت نبوءاته حول الثورة أو الثورات المقبلة زاجاً حكمته في سيرورة الحياة وضرورة وجود المعركة بين صاحب حق وصاحب باطل.

وإذا ما وصل إلى رباعياته (مع البلبل السجين) الطويلة المنوعة الألوان والصور. لم يعد بمقدورنا القناعة بأن صاحبنا يريد طائره الجميل بجهد كبير من الإبداع والتقنية الشعرية التي جاوز بها عصره فعلاً. بل يطالعنا على رغبة مكبوتة تكاد تتفجر حمماً ونيازك. يتطلع منها إلى حياته المرفوضة. ومجتمعه المريض. وعصره الراقد على مضض الصبر وجمرات الحرمان. والمتطلع إلى آفاق التحرر من قيود الطغيان:

(أيها البلبل المعلق في السجن
سلام . هل في الحياة سلامُ
أنظام وللطيور سجون
وانسجام وفي القصور سوامُ
إن دنيا أغرت رفاقي دنيا
طوبَياتٌ .. تصوغها أحلامُ
ألمس الجبر في النظام ودنيا
الورد فيها من دون جبر نظامُ)

نلاحظ أن التحريض هنا يتخذ صيغة مضادة للأسلوب المباشر، وينحو منحى ضغط الوجع،وفرك الجرح. هذا الأسلوب الذي استخدمه فيما بعد الجواهري ببراعة لا مثيل لها لدى شعراء زمنه. ومن أهم قصائده في هذا المجال (تنويمة الجياع) المثبتة في ديوانه الضخم.

على أن الشرقي لم يكتف لبعث الثورة. وتعميم التحريض والرفض بنمط واحد من الشعر، شعره هو بالطبع، فكما لجأ إلى محاورة البلبل. لجأ إلى محاورة شمعة العرس. ولجأ إلى التحريض المباشر الواضح في قصيدته نشيد الزوايا التي تحول فيها إلى مقاتل اتخذ القريض سيفه وبندقيته. والعبارة التي تلفت النظر في هذه القصيدة كما في قصائد مماثلة هي عبارة (القُطر) التي رادفت (العراق) وجاءت ضمن إيمانه المطلق بوحدة الأمة العربية كما جاء هذا المصطلح فيما بعد لدى الحركات القومية السياسية. وبعد شعر الشرقي بزمن ليس بالقصير:

(ماذا تقول العيون
كل البلاد مدامع
وكل شيء حزين
في القطر حتى الشوارع)

القصيدة كتبت بعد أن حل بالعراق ما حل بغيره. فرحل طغيان تركي ليحل محله طغيان فرنسي أو إنكليزي أو طغيان طلياني. ويصور الشرقي حالة الغليان التي يعيشها الشعب بعد أن ينفخ فيها ناره وعواصفه:

(لم يبق وجه بشوشُ
في الكوخ أو في الخصاصِ
ملء الصدور نشيشُ
وثورة للخلاصِ
أطائر أم ريشُ
في قبضة القَنّاصِ
رفقاً بشعب يعيشُ
لضعف بالامتصاص)

وكتب قصيدته (صَغير الْعَسَس) عام ١٩٢٤ يعرّي فيها الحياة العربية لا العراقية فقط. ويحرض على الوحدة بأسلوب لم يسبق إليه. بل لو نقلنا مقطعاً من القصيدة وأغفلنا التاريخ الذي أثبتناه. لما شك أحد في أن هذا التهكم المفجع من التجزئة قد كتب الآن في الثمانينات وليس في عهد الطغيان الاستعماري قبل سبعين عاماً. فهو بعد أن يستعرض بأسلوب مباشر ولغة سهلة، حياة العراق والعرب منذ أواخر العهد العثماني حتى الاستقلال المزيف الذي ترعاه كل من فرنسا وبريطانيا. يطرح هذه الوخزة المؤلمة المحرضة حول التجزئة والكيانات الإقليمية في الوطن العربي. ويتركها مهدمة الجوانب.

على أنَّ الشرقي عاش لحظات وعي متألقة وباهرة. فلم تأخذه العاطفة الوطنية والعاطفة القومية فتلهيه عن رؤية السلبيات العربية القاتلة التي ساعدت أو أسهمت بصورة ما في ترسيخ الاحتلال ومحاولة توطين الطغيان. فاللوم الذي يلقيه لومان. لوم على شعبه ولوم على (أمم الاحتلال) لنقرأ الرباعية قبل الأخيرة من قصيدته صغير العسس:

(في ذمة التاريخ أوطارنا
قد انقضى العرس وشهر العسل
لو جمعت لم تك أقطارنا
دويلة فكيف صارت دول
غداً إذا هددنا جارنا
كيف نلاقيه بهذا الْفَلَلْ
يكفي إذا أصبح مزمارنا
يصدح أن العربي استقل)

يصح أو يجوز لنا التغاضي عن الفنية المتدنية إلى حدود النثر في هذه الرباعية لأننا مؤمنون برغبة صاحبنا في طرق أبواب التجريب بغية التطور ورغبة في التجديد، وإذا هبط مستوى أدائه في مقطع من قصيدة. فهو يرتفع في مقاطع أخرى، أو هبط المستوى كله في قصيدة سياسية مباشرة، يرتفع ويشف ويصفو في قصيدة رمزية ثانية تعتمد الصور الجديدة والألوان والأضواء التي أحس الشرقي في استخدامها وتوظيفها في شعره.

أما إذا وقفنا على الدلالة السياسية والقومية في هذا المقطع فإننا واجدون فيه ما نراه ونحسه ونلمسه اليوم على معظم الخريطة العربية، وكأن حبر الشرقي لما يجف عن قصيدته بعد، علماً بأن القصيدة مكتوبة قبل ست وخمسين سنة بالتحديد.

وليست مصادفة في شعر الشرقي تلك النزعة القومية الواضحة حيناً والمستترة حيناً، فقد حملها الرجل وزنها، وعرف مدى بعدها، وعمق حقيقتها. وإذا كانت المصطلحات السياسية في أوائل القرن العشرين وبحكم التعتيم والتجهيل غائمة وممزوج بعضها بالبعض كما الحال لدى الشعراء غير الملتزمين قومياً مثل خليل مطران وحافظ وشوقي وقبلهم وبعدهم أو معهم الأخطل الصغير، من حيث تظهر عبارات: أمة الشرق. أمم الشرق.. أمة الضاد. أو تظهر العروبة ممزوجة ببعد ديني. فإن علي الشرقي كان على وعي حاد كما مر معنا بإعطاء المصطلح أو الدلالة القومية بعدها الواضح. ويريد أن يلح في قصيدة أخرى كتبها عام ١٩٢٣ على فهمه النزعة القومية فيصور لنا هذه اللوحة في قصيدة وادي النجف:

(ساع لرفعة شعبه
بلد المنابر والمشانق
ولواؤه القومي فوق
شعاره الوطني خافقْ)

كان يميز منذ العشرينيات بين الوطنية المحلية والقومية الشاملة ويعتبرهما متتابعين في ترسيخ الحياة الأفضل.

علي الشرقي ابتعد عن المديح. إمعاناً في تطلعه نحو التجديد. وخوضه غمار التجريب وإذا جاء صوته القومي أقل ضوضاء منه لدى الآخرين، فليس عن وهن في عواطفه القومية، لأن الشواهد تنفي ذلك الوهن. بل لأن الرجل أراد أن يتجاوز عصره في رسم مخطط جديد للقصيدة فنجح في بعض اللوحات، وفشل في بعض خطوات المغامرة.

وسيظل تاريخنا محتفظاً باسم علي الشرقي كواحد من شعراء النزوع القومي الذين تنبؤا فصدقوا، وعاشوا في الظمير مبشرين ورسل هداية يبحثون عن الضمير بكل ما وسعهم الإبداع الذي امتلكهم وامتلكوه.

المقال للكاتب العربي خالد البرادعي عن مجلّة الرائد 1995

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

الشيخ علي الشرقي
شاعر كبير عشق العراق

جعفر المهاجر

كثيرا ماكنت أردد مع نفسي ذلك البيت البسيط في صياغته العميق في معناه للشاعر الكبير المرحوم علي الشرقي وهو قومي رؤوس كلهم – أرأيت مزرعة البصل؟ وكلما نزداد الحرب الخفية والمعلنة اليوم بين هذه المكونات السياسية التي تحكم العراق اليوم أتذكر هذا البيت الخالد لأنه يعبر خير تعبير عما يعانيه شعب العراق اليوم من الرؤوس التي أخذت على عاتقها خوض المعركة مع بعضها البعض ألى النهاية، وليأت من بعدها الطوفان. وقد كتبت يومها مقالة عنوانها صدر هذا البيت وهي منشورة في موقع المرصد العراقي الموقر ومن يوم كتابة ذلك المقال أحسست برغبة قوية للكتابة عن هذا الشاعر الكبير الذي يمثل شعره جزءا من تأريخ العراق. وبعد جهد جهيد في البحث عن ديوان الشاعر أسفر بحثي في الحصول على الديوان بمساعدة أحد الأصدقاء فأخذت عيناي تلتهم كل حرف فيه وقرأته عدة مرات وأسفرت قراءتي للديوان عن هذا البحث أرجو أن ينال رضا من يرغب في قراءته.

والشعر الأصيل هو الذي يبقى شامخا ، يتجدد مع الزمن فتردده الأجيال وتحتضنه الأمة لأنه يمثل جزءا من حضارتها وتأريخها ورسالتها الأنسانيه وهذا ماتميز به شعر الشيخ علي الشرقي.

ولا شك أن الشاعر الكبير الشيخ علي الشرقي هو أحد أبناء العراق المبدعين حيث أعطى من روحه وقلبه وكيانه ووجدانه شعرا خالدا لايبلى على مر الزمن.هو الشيخ علي بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد حسن بن أحمد بن موسى بن حسن بن راشد بن نعمه بن حسين المعروف بالشرقي.

ولد الشيخ الشاعر علي الشرقي في النجف الأشرف عام ١٨٩٢م وتوفي عام ١٩٦٤م وخلال هذا العمر البالغ ٧٢ عاما عانى الشاعر الكثير من الفقر والحرمان بعد أن ولد يتيما ولم تتح له ظروفه المادية الصعبة الأستمرار في الدراسه فكان القرآن منهله الثر الذي غرف منه ينابيع معرفته وكانت مكتبات النجف وحوزتها العلمية وما تحتوي رفوف مكتباتها من ذخائر المعرفة لكتاب وعلماء وشعراء رفدوها بغزير علمهم لاتغيب أبدا عن هواجس الشاعر ورغبته الجامحة في الأستزادة منها منذ نعومة أظفاره. خاصة أذا علمنا أنه تتلمذ على يد الشيخ محمد جواد الشبيبي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وغيرهم من فطاحل اللغة والفقه و الأدب والعلم والتراث.

أن شعر الشيخ علي الشرقي شهادة رائعة للحس الوطني والقومي الشريف الخالي من التعصب والأستعلاء . وهو رمز للنضال الدؤوب ضد كل أعداء الأنسان العراقي وغير العراقي وأمانيه وتطلعاته المشروعة في الحياة الحرة الكريمة البعيدة عن القهر والظلم والألغاء. وقد صدر ديوانه الذي ضم جل شعره عن وزارة الثقافة والأعلام العراقية عام ١٩٧٩م حيث أشرف الأستاذان الدكتور أبراهيم الوائلي وموسى الكربا سي على جمعه وتحقيقه وذلك بعد عناء طويل لقياه أثناء جمعهما له حيث كان قبل ذلك في أوراق متناثرة في مكتبته وفي أماكن أخرى. يقع الديوان في ٤٦٢ صفحه من الحجم الكبير وقد تضمن معظم قصائده ورباعياته ومزدوجاته التي عالجت مختلف شؤون الحياة بلغة شعرية أنيقة ومؤثرة بعيدة عن الحشو والتكلف .

يقول المحققان في مقدمة الديوان (لم يقتصر الشرقي على الشعر فقد كان ناثرا لانبخل عليه بأن نعده من كبار الكتاب في البلاد العربية وقد كتب في موضوعات تأريخية واجتماعية وسياسية وأدبية وكانت لغته في النثر أشبه بلغته في الشعر فقد كان يكتب بحثا أو دراسة أو مقالة كأنه كان ينثر شعرا .)

والشاعر له عدة مؤلفات يجدها القارئ في مقدمة الديوان ولكن الذي يهمنا في هذا البحث هو شعره فقط.

أن معظم شعر الشرقي يمثل أخلاقية شاعر أصيل متمكن من أدواته الشعرية وهب نفسه لوطنه العراق وجند قلمه لمقارعة الظلم والظالمين وكل أنواع القهر والتخلف وعندما تتفجر قريحته شعرا من أجل وطنه ينقلنا ألى عوالم وجدانية وأنسانية تنبض بحرارة الأنتماء ألى تربة العراق وحضارته العريقة الضاربة في أعماق الأرض والتأريخ وهو أينما حل هاجسه الوطن وكلما ابتعد عنه يشعر بالحنين الجارف له لأنه قطعة منه لايطيق العيش بدونه . ويشبه نفسه بالنبتة التي تستمد بقاءها من تلك التربة الطاهرة المعطاء حيث يقول في أحدى قصائده:

هل المرء قطعة من بلاده
وما اندفعت ألا لتشعر بالجذب
وأني لأوطاني كنبت بحقلها
أذا نزعوه جف عن ناظر رطب

وهو يتمنى أن تعيش كل شعوب الأرض في محبة وصفاء ووئام بعيدا عن التطاحن والحقد والكراهية وهذا الأمر هو أحب الأشياء ألى قلبه:

حبيب لقلبي أن أرى كل موطن
لآخر موصولا برابطة الحب

وفي قصيدة أخرى يخاطب بها الوطن بأبيات تقطر عذوبة وشفافية وجمالا حيث يقول :

وطني المفدى أي سر في هواك الطهر عالق؟
أمن الثرى هذي الدمى – ومن الورى هذي الغرانق
ومن التراب وما التراب – خلقت أوراق الحدائق
لله فيك عناية – جعلتك مخلوقا وخالق !

والشرقي غالبا ما يلجأ ألى الرمز للتعبير عما يجول في نفسه من احتجاج على تلك الأوضاع التي كانت تسود في العراق . وشعره خال من السطحية والأسفاف والغموض والتعقيد ، وهو يكثر من التشبيهات وله أسلوبه الخاص والمميز ويعالج موضوعاته بروح معاصرة بعيدا عن المباشرة والنقل الآلي بل حافل بالصور الجديدة والمبتكرة والمعاني المستحدثة والعبارات الرشيقة . وعندما ينشد الشرقي شعرا يعبر عن تجربة صادقة حية وفي المواقف الوطنية نراه يصعد الحدث ، ويثير المشاعر ، ويلهب الأحاسيس لقضية عادلة ويجعلها في حالة تأجج وغليان . فعندما تطعن كرامة الأمة في الصميم من قبل أعدائها ، وتداس حقوق الشعب وتصبح خيرات الوطن نهبا للأجنبي الغاصب لايكون للشاعر الصادق مع نفسه ومع شعبه غير خيار الأستنهاض والثورة على هذا العدو الدخيل الذي لايمت ألى الوطن بصلة ويريد أن يتحكم برقاب الناس ظلما وعدوانا وقصيدة (منجل الفلاح) تعبر خير تعبير عن تلك الرؤى فهو يدين فيها أولئك الحكام الذين بنوا قصورهم الشاهقة والمنيفة وسعادتهم ونعيمهم الدنيوي على جماجم الفقراء والمسحوقين والمحرومين ويبين في هذه القصيدة الجميلة كيف سرق الحكام الطغاة قوت الشعب وهم غارقون في ملذاتهم ولهوهم وبذخهم دون الألتفات لمعاناة تلك الطبقات المسحوقة والمحرومة التي غدت جيلا من الأشباح حيث يقول في تلك القصيده:

أرهقت شدة المظالم جيلي
فأذا هم جيل من الأشباح
مالهذا الفلاح في الأرض روح
أهو من معشر من الأرواح ؟
هو في جنة ينال عذابا
وهو تحت الأشجار أجرد ضاح!
وقرى النمل لهف نفسي أثرى
من قراه ألا من الأتراح

ألى أن يقول :

رب قصر من فوق دجلة
كالطاووس للزهو ناشرا الجناح
أتراه مدته دجلة أنفا ؟
حين فاحت روائح القداح
نصبوه كمنبر من زهور
والمراقي كسوسن وأقاح
لو كشفنا أطباقه من أساس
لوجدناه منجل الفلاح !
أرهقته ضرائب باهضات
وديون ثقيلة الأرباح
لم يفده سلاحه فهو ليث
قتلوه صبرا بغير سلاح !
لو كشفنا عن قلب ذاك المعنى
لوجدناه مثخنا بالجراح !

عراقيون
من زمن التوهج